منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (3245) السنة الثانية عشرة - الأربعاء (24) كانون الأول 2014

WWW. almadasupplements.com

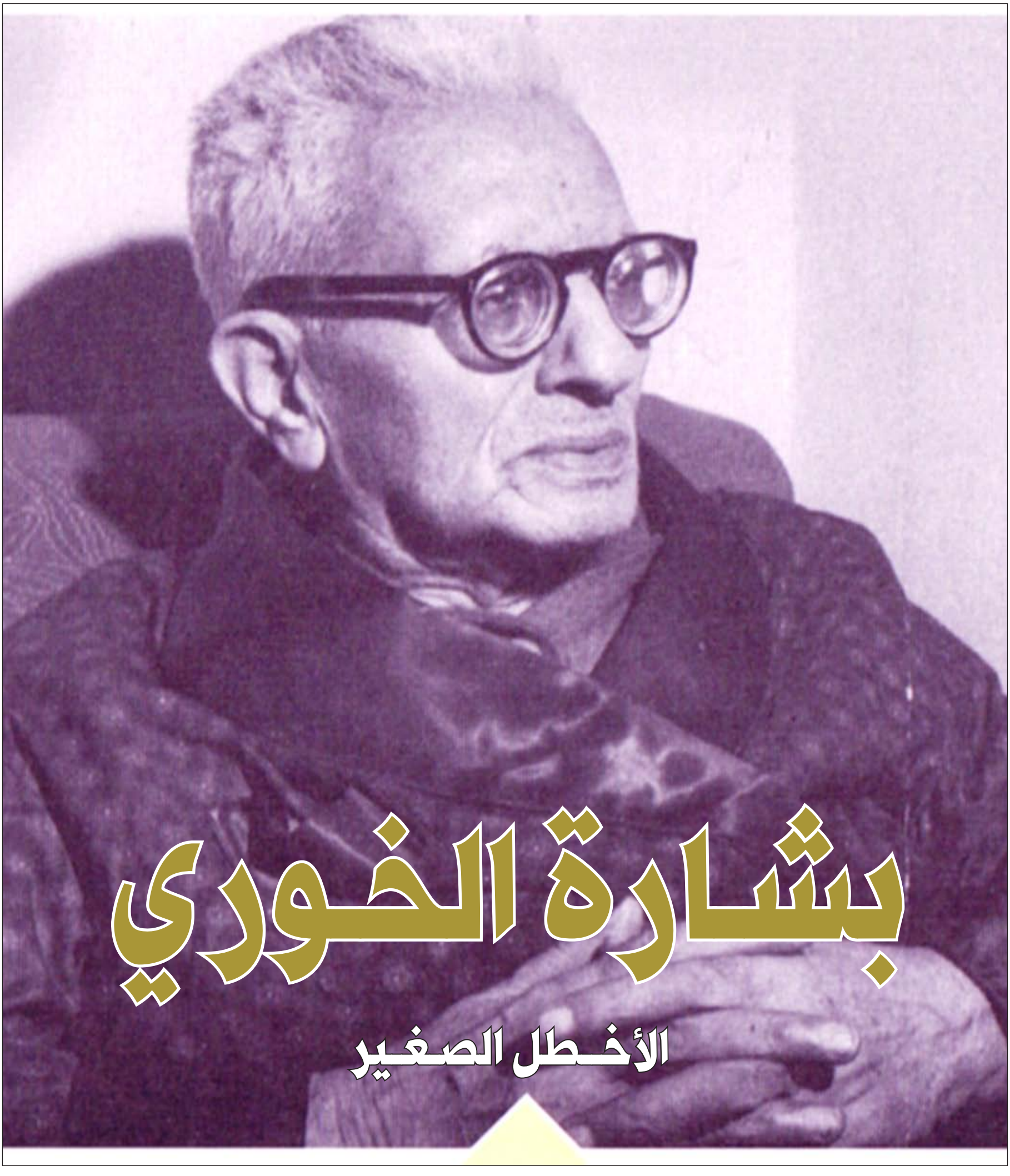

بشارة الخوري

الأخطل الصغير

نـــاغـــيـــت لـــبـــنـــانـــا

محمد مهدي الجواهري

ناغيت"لُبناناً"بشِعريَ جيلا
وضفرته لجبينهِ إكليلا
وردَدْتُ بالنغَم الجميلِ لأرزه
ظِلاً أفاءَ به عليَّ ظَليلا
أو مَا ترى شعري كأنَّ خِلالَه
نسيَ النسيمُ جناحَهُ المبلولا
وحِسانَ لُبنانٍ منحتُ قصائدي
فسحبنهنَّ كَدَلّهنَّ ذُيولا
أهديتُهُنَّ عُيونَهنَّ نوافِذاً
كعيونِهنَّ إذا رَمَيْنَ قتيلا
فردَّدنهنَّ من الأسى وجراحِه
كِسَراً.. فَرُحْتُ المُهنَّ فُلولا
ورَجَعْتُ أدراجي أجرُّ غنيمةً
من"بنتِ بيروتٍ"جوىً وغليلا
لُعنَ القصيدُ فأيُّ مُثرٍ شامخ
سرعانَ ما استجدى الحسانَّ ذليلا
رَدَّتْ مطامِحُه البعادَ دوانياً
وكثيرَ ما خَدعَ الخيالَ قليلا
ناغيتُ"لُبناناً"وهل أبقى الهوى
بُقيىً على قيثارتي لتقولا
طارحتُه النغماتِ في أعيادِه
بأرقَّ من سجعِ الحمام هديلا
ومَسحْتُ دمعَ الحزنِ في أتراحِه
وجعلتُ مَحْضَ عواطفي مِنديلا
وكذاكَ كنتُ وما أزالُ كما بنى
أهلي أُجازي بالجميلِ جميلا
يا شيخَ"لُبنانَ"الأشمِّ فوارعاً
وشمائلاً، ومناعةً، وقبيلا
مثَّلتَهُ في كلِّهنَّ فلم يُرِدْ
بسواك عنكَ. ولن يريدَ بديلا
إنَّ العراقَ وقد نزلتَ رُبوعَهُ
لَيَعُدُّ ساكِنَه لديكَ نزيلا
بُشرى"بشارةُ"أنْ جَوسَ خِلالَها
وتُزيرَ طرفك أهلَها وجُيولا
قف في ضفافِ الرافدين وناجِها
وتفيَّ صَفصافاً بها ونخيلا
واسمَعْ غِناءَ الحاصدينَ حُقولَها
للحاصداتِ من القلوبِ حُقولا
سترى القريضَ أقلَّ من أنْ يَجتلى
لغةَ النفوسِ عواطفاً ومُيولا
وتلمَّس الآهاتِ في نَبَراتِهِمْ
يُشعِلْنَ من حَدَقِ العيونِ فتيلا
واستنطِقِ"الرَّمَلاتِ"في جَنَباتها
ولطالما استوحى النبوغُ رمولا
واستوحِ كُوفاناً وبصرةَ إذ هُما
يتصدَّران العالَمَ المأهولا
يستوردانِ حَضارةً ومواهباً
ويُصَدِّرانِ فطاحلاً وفحولا

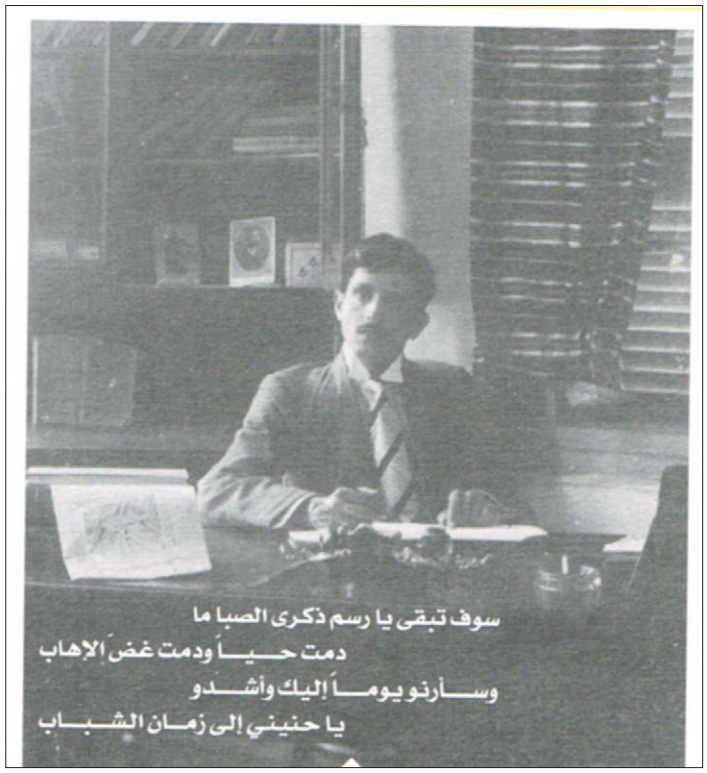

وتَقرَّ"بغداداً"فانَّ دُروبَها
ستُريكَ من سِفرُ الزمانِ فُصولا
ستُريكَ كيف إذا استتمّتْ دولةٌ
أعمى الغرورُ رجالَها لتدولا
إيهٍ"بشارةُ"لم تكنْ لتَحُدَّ من
مهوى النفوسِ ولم تكنْ لتحولا
إني رَصَدتُكَ من بعيد لم أَرِدْ
إذناً عليكَ ولا بعثتُ رسولا
ودخلتُ نفسَك لم أزاحِمْ حاجباً
عنها، ولم ألج"الرواقَ"فضولا
وحَلَفْتُ لا أوذي المَلوكَ ولا أُرى
ظِلاً على باب"الأمير"ثقيلا
صَوناً لمجدِ الشعرِ أوهمَ خاطئاً
أنّي خُلِقتُ على قِلىً مجبولا
ولربما ظنَّ الرواجمُ أنّهمْ
سيرَوْنَ من هذا"المنخَّل"غُولا
وعرفتُ فضلَكَ قبل كونِك عاهلاً
تُرخي عليكَ حِجابَكَ المسدولا
تَلِجُ العقولَ عباقراً ونوابغاً
وتُمحِّصُ المعقولَ والمنقولا
ووجدتُك المُعطي السياسةَ حقَّها
ترعى النُّصوصَ وتُحسِنُ التأويلا
والمستجيرَ بظلِّها من ظلِّها
تتخيرُ التحويرَ والتحويلا
ولمستُ يومَك حين ضجَّ ضجيجُها
ومشتْ تدُكُّ روابياً وسهولا
تستخدمُ المتفجراتِ لدافعٍ
عن حقِّهِ وتُسخِّرُ"الأسطولا"

وعُقابُ"لبنانٍ"تَضُمُّ جَناحَها
تحمي الفِراخَ وتَحرُسُ الزُّغلولا
وبنوكَ أُسْدَ الغابِ في لِبداتِهِمْ
عُبْلُ السواعدِ يمنعونَ الغيلا
حتى إذا انجلتِ العَجاجةُ وارتمى
شِلْواً - ربيبُ"فَجارةٍ"منخولا
وتخلتِ الأقدارُ عن متجبِّرٍ
ملأ البلادَ وأهلَها تنكيلا
وبرزتَ مثلُ السيفِ لا مُستسلماً
جُبُناً، ولا نِكْساً، ولا مخذولا
وتزاحمتْ بالهاتفينَ شِعابُها
يُزجُونكَ التكبيرَ والتهليلا
كنتَ الجديرَ بكلِّ ذاكَ وفوقَه
إذ كنتَ سيفَ جهادِها المسلولا
يا شيخَ"لبنانٍ"وحَسْبُكَ خِبرةً
رَفَعَتْك شيخاً في الملوك جليلا
جرَّبتَ حنظلةَ الدخيلِ وطعمَها
وصميمَها وطِلاءَها المعسولا
ولمستَ من لَهَبِ السياطِ ووَقْعِها
فوقَ الظهورِ على الطُّغاةِ دليلا
ورأيتَ كيف العِلْجُ يُسمِنُ أهلَهُ
يُقري بنيهِ شعبَك المهزولا
وعرفتَ قدرَ العاملينَ مبجَّلاً
شكراً، وحظَّ العاملينَ جزيلا
رَنتِ العيونُ إليكَ تُكبرُ موقفاً
من"شيخِ"لُبنانَ النبيلِ نبيلا
وتُريدُ منك وقد تقلَّصَ ظلُّهم ألا
تَميزَ على الدخيلِ دخيلا..

فلقد خَبَرنا نحنُ قبلَك مِثلَهُ
وأشرَّ في لغةِ الطُغاةِ مثيلاً
فاذا بـ"حنظلةٍ"تَحِنُ لأختِها
وإذا بـ"شدقمَ"يستظلُّ"جديلا"
وإذا بأولاوٍ تفرِّقُ بينَهم
شتى الدُّروبِ ويلتقونَ سبيلا
فاوِض فقد غَدَت العوالِمُ عالماً
ما زالَ حَبْلُ صِلاتهِ موصولا
وسيجرفُ التاريخُ في تيّاره
شعباً يَظَلُ مُجانِباً معزولا
وتُراثُ"لُبنانٍ"قديمٌ نشرهُ
في المشرقينِ مواهباً وعقولا
لكنْ تَوَقَّ من الوعودِ سلاسلاً
برّاقةً، ومن العهودِ كُبولا
فاوِضْ وخلِّ وراءَ سمعِك مُغرياً
وأمامَ عينِكَ شامتاً وعَذولا
ولأنتَ أعلمُ إنْ تُزحزَحْ عندَهم
شبراً، فسوفَ يُزحزحونكَ ميلا
وإذا ارتختْ عُقَدٌ تيسّرَ حلُّها
جدُّوا لكم عُقَداً تُريدُ حُلولا
"عبدَ الاله"وليس عاباً أنْ أرى
عِظمَ المقامِ مُطوِّلاً فأطيلا
كرَّمت صيفَك يستثيرُ جلاله
نُطقاً، ويدفعُ قائلاً ليقولا
يا ابنَ الذينَ تنزَّلتْ ببيوتِهم
سُوَرُ الكتابِ، فرُتِّلتْ ترتيلا
الحاملينَ من الأمانةِ ثقلَها
لا مُصعِرينَ ولا أصاغِرَ ميلا
والناصبينَ بيوتَهم وقبورَهم
للسائلينَ عن الكرام دليلا
والطامسينَ من الجهالةِ غَيْهباً
والمُطلعينَ من النُّهى قِنديلا
ملكوا البلادَ عروشَها وقصورَها
واستعذبوا وعْثَ التراب مَقيلا
يا ابنَ النبيِّ وللملوكِ رسالةٌ
مَنْ حَقَّها بالعدلِ كانَ رسولا
يرجو العراقُ بظلِّ رايةِ فيصلٍ
أنْ يرتقي بكما الذُّرى ويطولا
لا شك أنَّ وديعةً مرموقةً
عز الكفيلُ لها فكنت كفيلا
وكيانُ مُلكٍ في حداثةِ عهدِه
يتطلَّبُ التلطيفَ والتدليلا!
وسياسة حضنتْ دُعاةَ هزيمةٍ
وتبنَّتِ التفريقَ والتضليلا
تُغري المثقفَّ أن يكون مُهادِناً وابنَ
الجهالةِ أنْ يظَلَّ جَهولا
ألقت على كتِفيكَ من زَحماتِها
عبءاً تنوءُ بهِ الرِّجالُ ثقيلا

شدَّتْ عروقَك من كرائم هاشمٍ
بيضٌ نمينَ خديجةً وبتولا
وحَنَتْ عليكَ من الجدودِ ذؤابةٌ
رَعَتِ الحسينَ. وجعفراً وعقيلا
قُدْتَ السفينةَ حين شَقَّ مقادُها
وتطلَّبتْ رُبَّانَها المسؤولا
أعْطتْكَ دَفَّتها فلم تَرجِعْ بها
خوفَ الرِّياحِ ولا اندفعتَ عَجولا
وَمَنَحْتَها والعاصِفاتُ تؤودُها
مَتناً أزلَّ وساعداً مفتولا
أُعطِيتَ ما لم يُعطَ قبلَكَ مثلَه
شعباً على عِرفانِكُمْ مجبولا
إنَّ العراقَ يُجلُّ بيْعةَ هاشمٍ
من عهدِ جدِّكَ بالقرونِ الأولى
هذي مصارعُ مُنجبيكَ ودورُهم
يملأنَ عَرضاً للعراقِ وطُولا
ما كانَ حجُّهُمُ وطوفُ جموعِهِمْ
لقبورِ أهلِكَ ضَلَّةً وفُضولا
حبُّ الأُولى سكنوا الديارَ يَشفُّهم
فيعاودونَ طلولَها تقبيلا
يا شيخَ"لُبنانٍ"شكيَّةَ صارخٍ
تتخلَّلُ الترحيبَ والتأهيلا
كنّا نُريدُك لا القلوب"مغيمة"
فينا، ولا خِصبُ النفوسِ مَحيلا
لنريكَ أفراحَ العراقَ شَمالَه
وجنوبَه وشبيبةً وكُهولا
جئتَ العراقَ ومِن فِلَسْطِينٍ به
وَجَعٌ مطبَبُّهُ يعودُ عليلا
والمسجدُ المحزونُ يُلقي فوقَه
ليلاً - على الشرقِ الحزينِ - طويلا
ذهبتْ فِلَسْطينٌ كأن لم تَعترفْ
مِن كافليها ضامناً وكفيلا
وعفَتْ كأن لم يمشِ في ارجائها
"عيسى". و"أحمدُ"لم يَطِرْ محمولا
والمسجدُ الأقصى كأنْ لم يرتفعْ
فيهِ أذانٌ بُكرةً وأصيلا
وثرى صلاحِ الدينِ دِيسَ وأنعلتْ
منه جيوشُ الواغلينِ خُيولا
و"الحنظلُّي"بحِلْفِهِ ووعُودِهِ
ما زالَ كاذبَ وعدِه مطولا
لم يرعَ شرعَ الكافرينَ، ولا وفى
حقَّيهما القرآنَ والانجيلا
أعطى"إلَنْبي"أهلَها فاستامهم
بلفورُ، فاستوصى بهم عِزريلا
واليومَ يفخرُ"بالحيادِ"كفاخرٍ
بالقتلِ إذ لم"يُسلَخِ"المقتولا

القيت في مهرجان تكريم
بشارة الخوري ١٩٦١

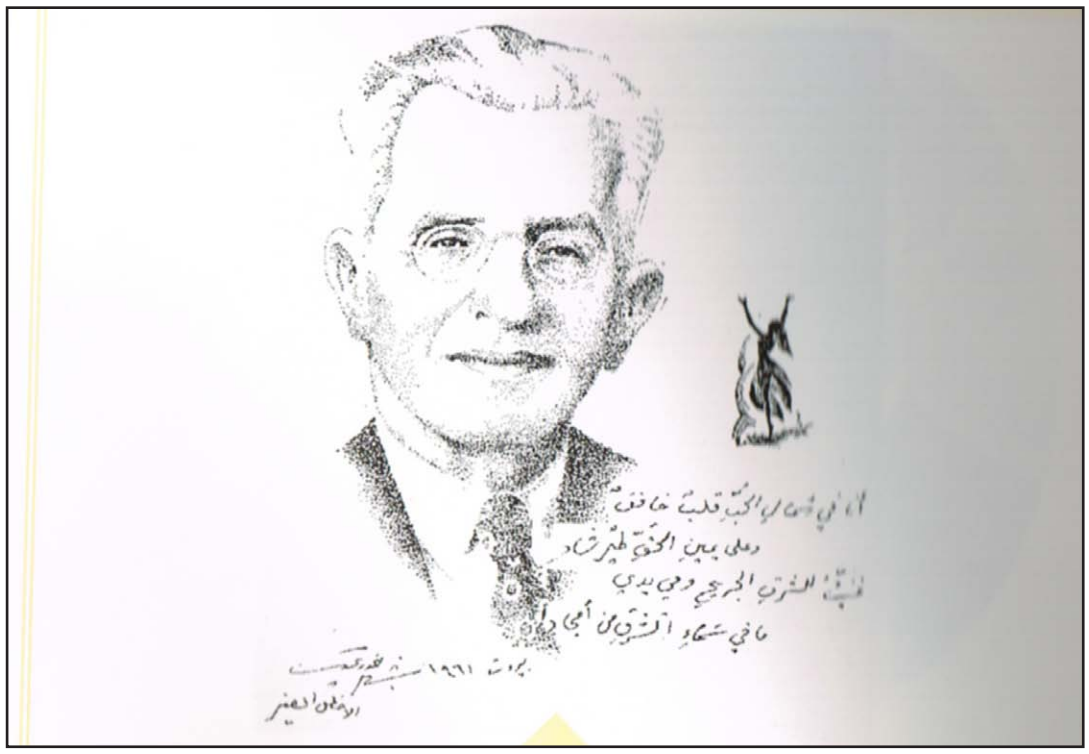

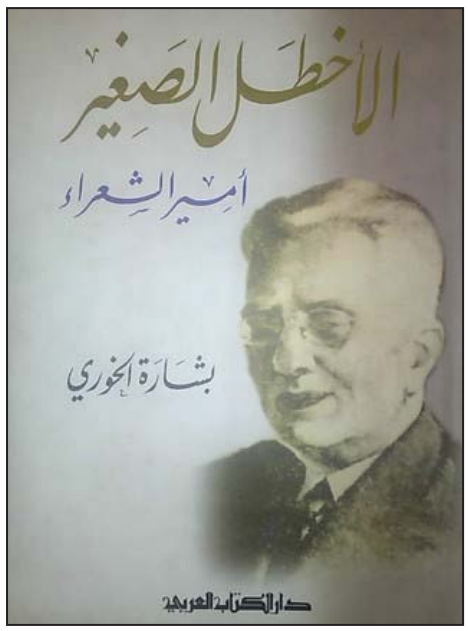

ثائر العذاري

الأخطل الصغير.. شاعر الهوى والشباب

يزخر تراث الشعر العربي التقليدي بكثير من العبقريات التي تتطلب إعادة قراءة أعمالها في ضوء المتغيرات الفنية الكثيرة التي يشهدها المشهد الشعري المعاصر، فتلك العبقريات تمدنا بتجارب إبداعية نافعة جديرة بالوقوف عليها.

ويبرز بشارة الخوري أواسط القرن العشرين بوصفه واحدا من الشعراء المجددين الذين حاولوا تلمس طريقهم إلى العصرنة وسط غابات التراث الكثيفة المتشابكة التي لا تكاد تتيح لمن يحاول اجتيازها طريقا. فقراءة سريعة لديوانه يمكن أن توصل القاري إلى أهمية هذا الشاعر في خارطة التجديد الشعري العربي.

يحاول الأخطل الصغير أن يبني لغة شعرية تخرج من سلطة التراث القائمة على البناء الثنائي الذي يتكون من تشكيل مقابلة ما بين الصدر والعجز في البيت الشعري التقليدي. ونحاول في هذا المقال القصير إنارة بعض الجوانب الفنية في شعره.

يقوم تكنيك الأخطل الصغير في الغالب على محاولة إدخال القارئ في تجربة انفعالية جديدة تعتمد على صدمة شعورية غير متوقعة، ولنقرأ مثلا هذين البيتين وهما مطلع قصيدته في رثاء الزعيم المصري سعد زغلول:

قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم هل غيّض النيل أم هل زُلزل الهرمُ؟
قالوا أمرّ وأدهى قلت ويحكمُ إذن لقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ؟

يمهد الشاعر في الأشطر الثلاثة الأولى للحديث عن حدث جلل، غير أن المتوقع أن يواصل إدراج احتمالات أخرى غير (غيض النيل و زلزل الهرم)، لكنه يصدمنا في الشطر الرابع بلهجة العارف الخبير بأنّ لا شيء أكثر هولا من هذين الأمرين سوى موت سعد زغلول. والملاحظ أن هذه الصدمة لا تعتمد على اللغة ذاتها بوصفها الجسد المادي للقصيدة بل تقوم على بناء الدلالة المفاجئة، لكنه لم يهمل الناحية المادية في تكنيكه هذا، فجاء بناء البيتين غير معتاد وغير تقليدي، فعلى الضد مما سار عليه شعراء العمود التقليدي في تصريع مطالعهم، جاء مطلع قصيدته بغير تصريع، بينما جاء البيت الثاني الذي ذكر فيه اسم المرثي مصرعا، وقد زادت هذه اللفتة الفنية من قوة الصدمة، بإبرازها كلمة (ويحكم) التي تعتمد التجربة الانفعالية المتوخاة على معناها.

وقد أبدع الأخطل في نظم قصص الحب في مطولات قصائده، وأبرز تلك القصائد (عمر ونعم) و (عروة وعفراء) و(المسلول) و(سلمى الكورانية)، وتحمل هذه القصائد سمات تخرجها من تقاليد العمود الصارمة إلى حد كبير.

في (المسلول) مثلا، يخرج الشاعر من تقليد نقل الحوار بوساطة فعل القول (قال وقلت) كما هو معتاد في الشعر التقليدي مثل ما فعل عمر بن أبي ربيعة:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

فجاء الحوار في قصيدة (المسلول) بطريقة مسرحية معتمدا على علامات الترقيم:

نم لا تسلط يا حبيبِ على مخمور جسمك قلّة الجلدِ
عيناك متعبتان من سَهر ويداك رَاجفتانَ من جهدِ
– لا لا أنام ولا أذوق كرًى إنّ النهار مضى ولم يعُدِ
.....
– نم لا تكابر كاد رأسك أن يهوي بكأسك غير أن يدي
– يهوي نعم يا فتنتي ومنى نفسي وزهرة جنة الخلدِ

يتضح من هذا المقطع أن الشاعر ينقل الحوار بطريقة مسرحية مباشرة، وهذا لم يكن أمرا معتادا ذلك الوقت.

والسمة المهمة التي يتسم بها شعر الأخطل الصغير هي طريقته في بناء الصورة الشعرية، فالشاعر ينعتق من أسر التقليد الموروث الذي يقوم على التشبيه والأساليب المشتقة منه استعارة وكناية وغيرها، فصوره تضج بالحركة، فقد تنبه إلى أهمية الفعل في بناء الصورة:

تعجب الليل منها عندما برزت تسلسل النور في عينيه عيناها
فظنها وهي عند الماء قائمة منارة ضمها الشاطي وفدّاها

يمكننا ملاحظة تصويره بريق العينين في جملة يتفاعل فيها الليل مع عيني الشخصية الموصوفة، ليبني صورة حيوية، وفي البيت الثاني لم يقل (كأنها منارة) بل جعل التشبيه في ذمة الليل ونسب إليه الظن. وانظر إضافة (الشاطي) إلى الصورة وإعطائه فعلين هما (ضم و فدّى). وفي (الصبا والجمال) قال:

سكر الروض سكرة صرعته عند مجرى العبير من نهديك
قتل الورد نفسه حسدا منك وألقى دماه في وجنتيك
والفراشات ملت الزهر لما حدثتها الأنسام عن شفتيك

بإمكان القارئ أن يلاحظ التكنيك ذاته، فالروض يسكر والورد يقتل نفسه والفراشات تملّ الزهر أفعال تتوسط أركان التشبيه التقليدي لتحوله إلى صورة دينامية فاعلة. غير أ، هناك شيء آخر لابد من رصده لإبراز قدرة الشاعر في التصوير، وهي إدخال عنصر في التشبيه غير المشبه والمشبه به التقليديين، ففي البيت الثالث في القطعة السابقة جاءت عبارة (حدثتها الأنسام) بوصفها عنصرا مضافا إلى المشبه (شفتيك) والمشبه به (الزهر) لتكسب الصورة مزيدا من الحركة والتفصيل.

تعرفت على الأخطل الصغير في مقهى أبو عفيف

نظراً لوظيفة أخي أحمد مختار في سلك الشرطة فكنا ننتقل معه من مدينة إلى أخرى من الجنوب إلى الوسط فقد أمضيت طفولتي في العمارة وعلي الغربي من سنة (١٩٣٢ – ١٩٦٣) ومن ثم في بغداد أمضينا سنتين بعد ذلك تحولنا إلى الحلة حيث كنت في الصف الأول الابتدائي عام ١٩٣٩.

وأنا بغدادي الأصل بيت جدي محمد وادي والد أمي يقع في زقاق الجلالي بمحلة البارودية القريبة إلى عقد المصرف الذي يطل عليه بيت الشاعر جميل صدقي الزهاوي في الجهة المقابلة من الشارع.

عبد الخالق فريد

وقريباً منا محلة الفضل وفي هاتين المحلتين كان يسكن كبار موظفي الدولة ووجهاء بغداد القديمة سابقاً أمثال أسرة نوري السعيد وعبد الكريم كنه ونوري فتاح وأسرة شامل باشا وأسرة المصرف وسواهم من الأسر العريقة..

أما أسرتي فقد اندثرت بحكم الوفيات المستمرة منذ أواسط الأربعينات حتى لحظة كتابة هذه الكلمات وقد صح قول الشاعر:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

لقد ربانا أخي المرحوم أحمد مختار فريد ١٩١٣ – ١٩٧٣ الذي توفي برتبة مقدم شرطة وكان في عام ١٩٥٥ مديراً لشرطة محافظة كربلاء وأنا وشقيقتي ثمينة فريد تربية كريمة صالحة فقد تخرجت ثمينة في دار المعلمين العالية وحصلت على مرتبة الشرف الأول على قسم اللغة العربية وكان من زملائها الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والأديب الناقد محمد جواد رضا (دعبل) كان ذلك في عام ١٩٥١ وعينت مدرسة للغة العربية في ثانوية الأعظمية وتزوجت من إنسان فاضل ينتمي إلى أسرة كريمة أصولها من كربلاء وهو محاسب في وزارة الصحة واسمه حسن مهدي الروماني وقد توفي زوجها مخلفاً لها ثلاثة أولاد وابنتين وهي الآن متقاعدة وبيتها في السيدية مقابل جامع أم الطبول أما أنا فأكملت دراساتي الثلاث بين مدن الحلة ١٩٣٩ والمدحتية – الحمزة والكفل والمسيب والمحاويل والتكريت ١٩٤٦ وانتقلنا منها في نصف السنة إلى بغداد حيث تخرجت في الصف السادس الابتدائي في مدرسة الأعظمية الأولى للبنين ودخلت بعدها في مدرسة الأعظمية المتوسطة وكان من رفاقي وأصدقائي فيها لؤي يونس، بحري وفيصل فهمي سعيد، وأكملت المتوسطة في مدرسة العربية وكان من رفاقي فيها إضافة إلى لؤي وفيصل صديقي الحميم وجيه عبد الغني مصطفى الممثل المعروف، إضافة إلى الصديق سعدون بنية رحمهما الله.

ومنذ عام ١٩٤٦ حتى الآن (نيسان ٢٠١١) أسكن بدار مملوكة لي خلفتها لي والدتي الراحلة وأعيش مع زوجتي ليلى الخزرجي التي تزوجتها عام ١٩٦١ وهي ابنة عم الشاعرة الكبيرة الراحلة عاتكة وهبي الخزرجي، وقد أنجبت لي ثلاثة أولاد وبنت واحدة، هم فريد ١٩٦٢، وغلواء ١٩٦٤، وفادي ١٩٦٩، ومازن ١٩٧٠.

وأنا منذ تشرين الأول ١٩٨١ متقاعد – ووظيفتي السابقة معاون مدير في مصرف الرافدين.

بدأت تجربتي في كتابة المقال الأدبي وقرزمة الشعر الغزلي والتأملي عام ١٩٥٠ حين اكتملت ثمرة ثقافتي الأدبية والشعرية بحكم مطالعاتي الأولى للصحافة الأدبية جبربور والريدرز دايجست – مجلة المختار – التي كانت تصلنا للحلة من مصر العربية وكنت آنذاك في الصف الخامس الابتدائي فلما التحقت في مدرسة الغربية المتوسطة عام ١٩٤٦ كنت أرتاد مع زميلي لؤي يونس بحري، المكتبة الوطنية في باب المعظم والتي كانت تقع خلف المدرسة الغربية مباشرة، وكانت المكتبة تبهرني بعظمتها وإدارتها وضخامة الكتب النفيسة التي تحتويها، فكنت أتسلل من المدرسة لألج محرابي الذي تعشقت العبادة فيه بين أصناف مختلفة وعديدة من الكتب التاريخية والأدبية والقصصية والشعرية.

وحين وقع بيدي كتاب توفيق الحكيم.. أو بالأحرى قصته المشهورة (عودة الروح) قرأته بشوق غامر وقد بكيت كثيراً وأنا أطالع هذه القصة النادرة التي ربطتني بتوفيق الحكيم برباط وثيق جعلني أقرأ وأطالع بشغف جميع قصصه وكتبه ومسرحياته، كما طالعت كتب طه حسين ومحمد حسين هيكل وأعجبت غاية الإعجاب بكتابة السامق العظيم عن الرسول الأعظم (محمد) أما من الشعراء فعكفت على دواوين علي محمود طه علا ونهلا وجننت بصوره الشعرية وخيالاته المجنحة وأسلوبه الأنيق الرقيق المبهر، وقرأت جميع دواوينه وترجماته الفريدة للشاعرين بول فيرلتي ورامبو وسواهما من العباقرة الخالدين..

وهداني خالي الراحل الدكتور عبد المجيد الوادي إلى إلياس أبي شبكة (الشاعر اللبناني الأسطورة ١٩٠٣ – ١٩٤٧) فتولهت فيه وفي حياته وشعره من خلال الكتاب الذي صدر عنه عام ١٩٤٨ عن دار المكشوف.. في بيروت بمناسبة ذكرى مرور عام على رحيله المبكر وكان عنوان الكتاب (إلياس أبو شبكة دراسات وذكريات) وقد صار لي إلياس في حياتي اليومية حلماً متواصلاً وقد قرأت دواوينه مرات.. ومرات وفي كل مرة أزداد إعجاباً بشخصيته الشعرية المثلى..

وفي أول سفرة لي لبيروت توجهت إلى بيته في زوق ميكائيل وجلست متوجداً متوحداً أمام زوجته – أولغا ساروفيم – غلواء، التي كتب ملحمته الشعرية الرائعة باسمها، وقد وصفت زيارتي لمدينة الزوق بمقال ماتع نشرته آنذاك مجلة الأسبوع التي كان يصدرها الصديق الأديب المغترب الكبير خالص عزمي الذي يقيم الآن في النمسا، ولإعجابي بالشاعر إلياس سميت ابنتي باسم غلواء حبيبة شاعري الأثير وقد كتبت عن إلياس أبي شبكة أربعة مقالات قسم منها نشرته في بيروت (مجلة الرسالة اللبنانية) وطبعت المقالات الأربع مع مقالتين أخريين هما (إلياس أبو شبكة ناقداً) و (إلياس أو شبكة وأثره في الشعراء العراقيين المعاصرين) كما أضفت إليها القصائد التي قيلت في رثاء إلياس أبي شبكة وهي للشعراء محمد مهدي الجواهري، علي الحلي، النقديان محمد وموسى، حارث طه الراوي، زهير أحمد القيسي، وعبد الخالق فريد وظهرت الطبعة الأولى من كتابي (إلياس أبو شبكة مقالات ورسائل) عام ١٩٨٨ وظهرت عنه تنويهات وملاحظات لأدباء أمثال: نزار عباس، ويوسف نمر ذياب، وعبد الرحمن مجيد الربيعي وشكيب كاظم وغيرهم..

منذ عام ١٩٥١ وأنا تلميذ في الإعدادية المركزية، كنت أراسل وأكتب في الصحف العراقية أمثال أخبار المساء لغازي العياش، وجرائد الموصل أمثال الراية والعاصفة، والمثال للصحفي الراحل عبد الباسط يونس، وكان يقوم بإرسالها له زميلي في الرابع الإعدادي، المرحوم شوقي يوسف بكي وكان على علاقة أدبية سابقة لي في الكتابة بالجريدة الذي أصبح فيما بعد صاحبها من أعز أصدقائي وأول قصيدة نشرتها في جريدة الراية الموصلية هي قصيدة (ياس) وكانت مفعمة بالأشجان والمشاعر السوداوية ومطلعها:

ما مصيري في الحياة....ما مدى هذا الوجود؟

كلنا نمسي رفات.....وإلى القبر نعود

لا تثر لي الذكريات.....لا تستر تلك العهود

وكان للحرمان والفراغ النفسي وظلم الواقع الأثر الكبير في شعوري الملازم لهذه الثورة بأعماقي.

وفي أول مناسبة أتاح لي القدر فرصة للسفر إلى خارج العراق شعرت بنشوة عامرة تسربل حياتي وبتغير كلي يشمل تفكيري

إذ أتاحت لي هذه الفرصة تحقيق رغباتي للاطلاع على أحدث الكتب والدواوين الشعرية التي أسمع بها ولم تصل للعراق، ومنذ سنة ١٩٥٤ وكنت آنذاك طالباً في الصف الأول لكلية الحقوق العراقية، هيأ لي أن أسافر مع مجموعة من تلامذة الكلية – من مختلف الصفوف – إلى عمان، وبيروت، وأول وما وصلنا إلى هاتين العاصمتين شرعت للسعي وتعقب آثار وعناوين الشعراء والأدباء الذين كنت أقرأ لهم أهفو للقائهم، فتعرفت على بشارة الخوري (الأخطل الصغير) في مكتبه الكائن فوق مقهى أبو عفيف في ساحة البرج والتقيت الشاعر العراقي الشهير أحمد الصافي النجفي في مقهى فلسطين ثم زرته عدت مرات في نزل المعرض الذي كان يقيم فيه، وزارني في الفندق العربي بساحة البرج وأهداني بعض دواوينه.

كما تعرفت على سعيد عقل والدكتور جورج حنا في عيادته بالأشرفية، كما التقيت بنقيب الصحافة رياض طه ونشرت في مجلته الأحد قصيدتي (خواطر) التي أهديتها إلى الصديق حسين مردان شاعر قصائد عارية وكان مطلعها:

الريح تعزف صاح=لحن الهوى الصداح
أدر كؤوس السراح=فداك قلبي هيا

ولم أدخل هذه القصيدة في أي ديوان من دواويني فيما بعد نظراً لشعوري بضعفها.

وقد عدت من سفرتي المانعة مزوداً بأجمل الذكريات وأروع الكتب الأدبية ودواوين الشعرية التي أصبحت خير زاد لثقافتي الفكرية، وقد رأيت في شعر الشعراء اللبنانيين طاقة عظيمة من الإبداع في

الصور، والأخيلة والعواطف التي افتقدتها في شعرنا العراقي المعاصر.. إلا قلة نادرة من الشعراء ذوي الثقافة ممن يحسنون اللغات الأجنبية خاصة من الشباب المتطلعين لمدارس الشعرية الجديدة.

أصدرت حتى الآن ٢٣ ديواناً شعرياً جميعها في الغزل وأول ديوان صدر لي بعنوان (نداء الأعماق ١٩٥٥) وفي عام ١٩٦٤ – وفي شهر مايس منه – كنت أصطاف في بيروت وألتقي يومياً مع الشعراء والأدباء الذي حصل لي التعارف بهم في سفراتي السابقة وتذكرت أن ندوة ستقام عن ديواني – العطر الضائع – في رابطة الأدب الحديث التي يترأسها الناقد العظيم مصطفى عبد اللطيف السحرتي.

فسافرت في الباخرة "الجزائر" من ميناء بيروت متوجهاً إلى مدينة الإسكندرية التي وصلها بعد رحلة ٢٣ ساعة ومكثت في الإسكندرية يوماً واحداً تجولت في بعض أحيائها وأسواقها وذهلت من جمالها الساحر وروعة كورنيشها البديع، وسافرت في صباح اليوم التالي بالقطار المجري السريع فوصلت القاهرة غب ثلاث ساعات أو أكثر تقريباً وحللت في فندق لونابارك بشارع إبراهيم باشا – الجمهورية حالياً – واتصلت فور وصلي بصديقي الكريم وديع فلسطين هاتفياً الذي رحب بي أجمل ترحيب وزودني بعنوان (مقر رابطة الأدب الحديث) لنلتقي معاً خلال معاد الندوة في اليوم التالي.

وحقاً ذهبت للرابطة ووجدت طائفة كريمة من الأدباء والشعراء المبدعين الذين رحبوا به وبدأت الندوة بكلمة السحرتي العظيم الذي أشاد بشعري وديواني كما تحدث الدكتور كمال نشأت والشاعر الربيع الغزالي ووديع فلسطين والشاعر كمال عمار وغيرهم من الأستاذة الأجلاء، وقد شكرتهم في الختام بكلمة قصيرة – كدت بها أذوب حياء وتواضعاً لهذا التكريم الحافل لشخصي الضعيف – ومنذ تلك السنة التاريخية وأنا أواصل السفر إلى هذه المدينة الخالدة وقد سافرت إلى شتى دول الغرب أمثال فرنسا وإنكلترا واسكتلنده وسويسرا وبولندا واليوان وألمانيا ومعظم الدول العربية فلم أجد في حياتي أجمل من أم الدنيا (مصر) التي زرتها حتى عام ٢٠١٠ ثلاثاً وعشرين مرة وفي كل مرة أزداد حباً لها وإعجاباً بشعبها الكريم الذي يفتح أياديه وقلبه لكل زائر... وخاصة للعراقيين، وقد عرفت خلال هذه السفرات العديدة للقاهرة معظم أروع شعرائها وأدبائها وكتبوا عني وعن شعري أجمل القصائد أمثال: أحمد رامي، صالح

جودت، محمد عبد الغني حسن، وعبد العليم القباني، وادور حنا سعيد، ومحمود أبو الوفا (صاحب أغنية عندما يأتي المساء) للعظيم محمد عبد الوهاب وعبد الرحمن الخميسي ود. محمد عبد المنعم خفاجي.

ومن النقاد والأدباء: د. كمال نشأت، مصطفى السحرتي، كمال نجمي، عبده بدوي، صالح جودت، محمد رضوان، علي الجندي، إبراهيم المصري، عبد الفتاح البارودي، أنيس منصور، محمد الجيار، د.عبد المنعم خفاجي، وديع فلسطين، أنور الجندي، وغيرهم ممن لا تعيهم الذاكرة الآن.

وقد طبعت وصدر لي في القاهرة سبعة دواوين وهي:

١- أحزان البنفسج ١٩٦٨
٢- الشوق الغارب ١٩٦٩
٣- صلاة العطر ١٩٧٠
٤- الرحيل في الدروب النائية ١٩٧٥
٥- أنين القيثارة ١٩٧١
٦- أغنيات على شفاه الليل ١٩٧٣
٧- مرافئ الأشواق ١٩٨٢

صدرت حتى الآن ٢٣ ديواناً شعرياً في الحب والغزل وقد صدر ديواني الأول (نداء الأعماق ١٩٥٥) كما أدرت كتابي إلياس أبو شبكة – مقالات ورسائل ١٩٨٨ (طبعة أولى) وكتابي الثاني (مذكرات في الأدب) ١٩٨٨ طبعة أولى – وجمعت رسائل الأدباء والشعراء الذين راسلوني منذ عام ١٩٥١ وقد ظهرت هذه الرسائل في ١١ مجلداً بعنوان (عبد الخالق فريد في رسائل أدباء عصره) وسيصدر قريباً الجزء الثاني عشر من هذه الرسائل وعدد الأدباء والشعراء الذين ذكروا في هذه الأجزاء يتجاوز ١٢٠ أديباً وشاعراً.

لم أشارك إلا في مؤتمرين أدبيين أولهما مربد ١٩٨٩ الذي ضيفني إليه الصديق الراحل عبد الجبار داود البصري، والثاني في مؤتمر الشعراء العراقيين الذين أقيم في الكويت وبدعوة من الصديق الراحل الكبير هلال ناجي في مايس ٢٠٠٥ ولم أشارك بأية فعالية في هذين المؤتمرين.

لم أنتم إلى أية جمعية أو اتحاد أدبي في العراق منذ بدء مسيرتي الأدبية والشعرية حتى هذا اليوم.

بعض المراجع التي فيها تنويه بذكري هي:

١- نقدات عابر: للناقد الكبير مارون عبود – بيروت ١٩٥٦.
٢- شعراء معاصرون للأديب والشاعر هلال ناجي – القاهرة ١٩٦٢ مطبعة دار الكرنك.
٣- الشعر العربي المعاصر: الدكتور أحمد قبش – دمشق ١٩٧٥.
٤- مصادر الدراسة الأدبية: يوسف أسعد داغر – منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٨٣.
٥- عبد الخالق فريد – في رياض الأقحوان – الدكتور عبد الله الجبوري بغداد ٢٠٠٧.
٦- شاعر الأعطار والأنغام – لفيف من الشعراء العراقيين والعرب – القاهرة ١٠٧٦.
٧- شعر عبد الخالق فريد – آراء ودراسات نقدية – القاهرة ١٩٨٠
٨- أدباء وعلماء وعرفتهم – الأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدع – عمان – دار الضياء ٢٠٠٨.
٩- محمود الوفا – مجموعة أعماله الكاملة – تعريف بعبد الخالق فريد من خلال قصيدة كتبها عنه الشاعر الكبير محمود أبو الوفا (شاعر أغنية عندما يأتي المساء).
١٠- هلال ناجي في ميلاده السبعين – قصيدة أهداها عبد الخالق فريد لهلال ناجي فوصفه هلال بترجمته أمير شعراء الغزل في العراق.
١١- مجلة الهلال المصرية عدد شباط ٢٠١١ فيها حديث عن عبد الخالق فريد شاعر الحب والجمال.
١٢- آخر شعراء الرومانسية: كتاب صدر عن شعري ودواويني الشعرية في نيسان ٢٠١١.
١٣- ٩٠ قصيدة غزل: كتاب من تأليف علي هاشم – بيروت ١٩٧٠.

مجلة الاديب اللبنانية

بشارة الخوري

نشوة الفرح وحسرة الزوال

إبراهيم مشارة

ليس في أدباء لبنان المحدثين من مثل روح لبنان فكان صورته الصادقة مثل الشاعر الكبير بشارة الخوري أو الأخطل الصغير(١٨٨٥-١٩٦٨)، فقد كان نسمته المنعشة تهب على القارىء فتنفحه بأريج الخزامى والعرار، فشعره انعكاس لطبيعة لبنان وأطيافها الأخاذة المازجة بين بهرج الألوان وتناسقها في غير نشاز أو تكلف، إنه الصوت الذي يبرعم في وجدان القارىء وينشر أفنانه في روحه على مدى العمر مذكرا إياه بشواهق صنين ومرابع زحلة ودروب كفرشيما وسواحل صيدا و صور حيث زرقة البحر تلقي بأمواجها معانقة الشاطىء الذهبي وقد استلقت عليه الأبكار يتضاحكن ويتغامزن على المار قبالتهن شارد الذهن مفتونا بسحرهن، وقد أشعلن في القلب نارا وبثثن في الروح حنينا لمعانقة الجمال والإمساك به حتى لا تحجبه غيوم الزمن وعواديه.

كذلك كان بشارة الخوري شاعرا فذا أدرك طبيعة الشعر وسره فنزه شعره عن أن يكون نظما، وألقى به في أحضان الجمال متعبدا في محرابه، محرقا البخور بين أقدام أبولون لعله يبارك شعره ويمنحه إكسير البقاء. وليس يعني هذا عند الأخطل الصغير التنكر للقضايا الوطنية والقومية وقصر الشعرعلى وصف لواعج الهوى ونشوة المدام مادام الشعرهو الإمساك باللحظة.والإنقاذ لها من العدمية و إصباغ المعنى عليها تنزيها لها عن العبثية والعماء،وليس الشعر ما يثير الغرائز فقد تتكفل بذلك أحط الصور و أحط أنواع الموسيقى وفي ذلك إهانة للشعر وتطاول على عصمة الروح الشعرية المصونة عن الإسفاف والتردي، وما خلق الله الشاعر ليكون شاعرا تحت الطلب يدبج القصائد إرضاء للحاكم وبطانته ويمجد الأيام و الوقائع بناء على طلبات سياسية أو إيديولوجية فالشاعر قلب كبير يرفض الإكراهات والإملاءات ويتمردعليها،و كما يفهم الشعر على أنه رؤيا تنزل منه منزلة اللحمة وينزل الإيقاع منزلة السدا لا تفوته أبدا نكبات أمته و أفراحها وتعشق أبناء الوطن للرفاه و التقدم و الحرية، فتراه يدلي بدلوه في القضايا الوطنية و القومية عن غيرة صادقة وود خالص وشهامة إنسانية بلا تكلف أو رياء حتى لا تسف به الإيديولوجيا وتقصيه عن مملكة الشعر.

و هو لم يطوف في العالم الجديد كما طوف شعراء الرابطة القلمية أو العصبة الأندلسية و أقام في لبنان إلى وفاته إلا أنه أدلى بدلوه في القضايا السياسية لوطنه الصغير لبنان ووطنه الكبير العالم العربي، يدفعه إلى ذلك حرصه على نهضة الأمة وتحطيم أغلال الاستعمار الأجنبي أو الاستبداد السياسي و إذ أصدر جريدة "البرق الأدبية" الأسبوعية ثم اليومية فقد كان حريصا على نشر الأدب الرفيع والارتقاء بالبيان العربي إلى عصره الزاهر ولم شمل أدباء لبنان لتكون البرق منبرهم الحر، وهو إن تردد على بغداد أو دمشق أو القاهرة وهي حواضر الثقافة العربية فلإلقاء قصيدة أوتأبين زعيم،يحدوه في ذلك الأمل في وحدة عربية يكون الشعر باني أساسها وموطد دعائمها:

فلولا خلال سنها الشعر مادرى

بناة المعالي كيف تبنى المكارم؟

و إنه لحقيق بإمارة الشعر التي بويع أميرا عليها في بيروت عام ١٩٦١ فقد كان استمرارا لجيل الشعراء الكبار كالبارودي وشوقي وحافظ ومطران كما كان قلبا رؤوما تشغله قضايا أمته فيفرح لفرحها ويحزن لحزنها. وها هو الشاعر في مرثاته لسعد زغلول (١٨٥٧/١٩٢٧) يكشف عن حس قومي ونبالة عروبية ونزعة إنسانية واقرأ له هذا المقطع يرثي زعيم مصر الكبير ومؤسس حزب الوفد لتقع على صحة هذا الرأي:

قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم
هل غيض النيل أم زلزل الهرم؟
قالوا أشد وأدهى قلت ويحكم
إذن لقد مات سعد وانطوى العلم
لم لا تقولون أن العرب قاطبة
تيتموا كان زغلول أبا لهم
لم لاتقولون أن الغرب مضطرب
لم لاتقولون أن الشرق مضطرم
لطف المسيح مذاب في حناجره
وعزم أحمد في جنبيه يحتدم
صلى عليه النصارى في كنائسهم
والمسلمون سعوا للقبر واستلموا

وفي البيت الأخير ترى الشاعر يذكر النصرانية إلى جانب الإسلام كما كان ذلك دأبه مؤكدا الأخوة العربية حيث يتعانق الهلال والصليب، فلن يكون اختلاف الدين سببا في الخلاف والبغضاء والفرقة فالمسيحية والإسلام دوحتان وارفتان يستظل بهما أهل لبنان ومصر درأ لقيظ السياسة ووعثاء الطائفية في ود كبير وهما دوحتان نبتتا في تربة المشرق فكانتا من مأثره و آيات تفرده وفي ديوان الأستاذ

بشارة الخوري "الهوى والشباب" قصائد كثيرة تميزها سلاسة اللغة مع حرية الشاعر و تمكنه من البيان العربي و أصالة الخيال الذي يتوكأ عليه الشاعر فيسعفه أحيانا بالصور الشعرية الفريدة و أما الموسيقى في ثنايا النص ذاته أو خارجه فهي روح شعره كأنها النخاع الذي يملأ تجويف العظم ويمده بأسباب القوة والبقاء. و لا شك أن قارئ شعره يقف على حقيقة مفادها أن شعره يحوم حول الجمال أنى ترصده الشاعر في الوجوه أو في الموسيقى أو في النصوص الأدبية، ولا شك أن طبيعة لبنان قد أيقظت حواسه لتذوق الجمال كما أنه أفاد من اتقانه الفرنسية واطلاعه على عيون الأدب الفرنسي خاصة أدب هوغو و لامارتين وألفريد دي موسيه وألفريد دي فينه ورامبو وبودلير، وفي ديوانه بعض النصوص المعربة عن الشعر الفرنسي التي تكشف تاثره بالثقافة الفرنسية غير أن ميوله العربية أشد وأقوى. لقد كانت حياة الأخطل الصغير كشاعر و إنسان تترنح بين ثنائية لا مناص من الإفصاح عنها إنها ثنائية السرور والحسرة، فما ذكر الجمال والحب والخمرة والأنس والنشوة إلا أعقبه بذكر الخوف والزمن الحامل معوله لهدم الأحلام وإحراق الرؤى و إصابة الخلايا بالعجز و التلف، ويدفع الشاعر رغما عنه إلى الحنين إلى طفولته وشبابه حيث القوة و اللا مبالاة وشرخ الشباب الفتان:

هل لي إلى تلك المناهل رجعة
فلقد سئمت الماء غير قراح
رجعى يعود بي الزمان كأمسه
صهباء صارخة وليل ضاحي
أشف روحها و أعطي مثلها
روحا و أسلم ليلتي لصباحي
روح كما انحطم الغدير على الصفا
شعبا مشعبة إلى أرواح
للحب أكثرها وبعض كثيرها
لرقى الجمال و بعضها للراح

ولعل الشاعر قد كفى القارئ والباحث كليهما مشقة البحث في خصائص شعره وسر حياته لما تلقب بالأخطل الصغير فهو قد طمح في حياته الأدبية إلى أن يضاهي شاعرية الأخطل ويمتلك رؤيته الشعرية وقدرته البيانية ولعل الأخطل الكبير كان قدوة الأخطل الصغير الذي يقول في الكأس والوتر داعيا إلى الصخب ودرء النوم الموحي بالهجوع:

ياصارف الكأس عنا لا تضن بها
ويا أخا الوتر المكسال لا تنم
أدر علينا من الصهباء أفتكها
وخدر العصب المحموم بالنغم
قد يشرب الخمر من تعلو الهموم به
وقد يغني الفتى من شدة الألم

و كأن الانسان عند الأخطل الصغير لا يعيش إلا لأجل سويعات صفاء يمسح بها الكدر عن قلبه وينتشي بسرور يراه مهيمنا في مجلس أنس و لا يذكر الشاعر الخمرة إلا قرنها بالنغم و كأن نشوة المدام لا تتأتى إلا بنشوة الإيقاع. و الأخطل الصغير شاعر غزلي وهل يغض الشاعر طرفه عن الجمال الكائن في الخد الأسيل والقد المياس والعين النجلاء والصدر المرمري؟ والمرأة ملهمة الشعراء ودرة الوجود ومعقد السحر والفتنة والقرب منها من نعيم والبعد عنها من جحيم وفي غزل الشاعر كبرياء رجولة وشهامة نفس و أنفة لا ترضى التهتك والفحش، إنه غزل انساني على الرغم من تصريحه بذكر النهود والصدور والقبلات، ولا يمكن للشاعر أن يسف بالهوى إلى دركات الغريزة،وفي ديوانه قصيدة تجري مجرى القصة الشعريةعن فتى عب من اللذة المحرمة و أكل من الشجرة الملعونة في أحضان ساقطة حتى أسلمته الفاحشة إلى الداء العياء و أسلمه هذا إلى ظلمات القبر. ولم يكن الأخطل الصغير في غزله مثل جميل بن معمر أو قيس بن الملوح يكتفي بامرأة واحدة تختصر في وجدانه مملكة النساء يبثها هيامه ويشكوها سهاده ويستعطفها وصالا ويستجديها نظرة حانية، بل كان فراشة حوامة تطير من روض إلى روض و تحط على زهرة وعينها على زهرة أخرى، مادامت الغاية الاستمتاع بفتنة القد وسحر الخد وسعار القبلة المجنونة،وتتولى الخمرة مباركة الوصال ومضاعفة النشوة:

فتن الجمال وثورة الأقداح
صبغت أساطير الهوى بجراحي
ولد الهوى والخمر ليلة مولدي
وسيحملان معي على ألواحي
ياذابح العنقود خضب كفه
بدمائه بوركت من سفاح
أنا لست أرضى للندامى أن أرى
كسل الهوى وتثاؤب الأقداح

وقارئ شعره لا تفوته ميزة تميز شعره وربما حياته، وما كان الشعر إلا مسفرا عنها وتلك هي أنة التحسر وهي حاضرة في جميع مجالس أنسه جنبا إلى جنب مع الفرح والانتشاء فمهما سعى الشاعر إلى الصفاء و أخلص في طلب السرور،فالزمن سيذرو ذلك حطاما ولن يجد الشاعر في يده غير الخواء ورماد الذكرى، وصاحب الجلالة الزمن سيقهر الشاعر بأن يعطب خلاياه ويثقل خطاه، ويتكفل المشيب ببقية الديكور الموحي بالعجز و الضعف وما أحسن بلاغة الشاعر في الترميز له بالثلوج في قوله:

إلفان في صيف الهوى وخريفه
عزا على غير الزمان الماحي
دعني ومازرع الزمان بمفرقي
ما كنت أدفن في الثلوج صداحي
من كان من دنياه ينفض راحه
فأنا على دنياي أقبض راحي
إني أفدي كل شمس أصيلة
حذر المغيب بألف شمس صباح

وقد كانت حسرة الزوال قاسما مشتركا بين كثير من الشعراء من طراز الأخطل الصغير ألم يقل امرؤ القيس:

كأني لم أركب جوادا للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي مرة
ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال

وبعده الشاعر الفارسي عمر الخيام:

فجدد مع الكأس عهد غرامك
وحل مرارتها بابتسامك
وعجل فجوقة هذي الطيور
قد لا تطيل الطواف بجامك

فهؤلاء جميعا قد نهبوا اللذات نهبا وسابقوا سيف القضاء وفي النفس خوف من جبروت الزمن وتسليم فطري بانتصاره. وقد جر صخب الحياة ونعيم الأنس وفتنة الجمال شاعرنا إلى النفور من النوم فعشاق الأنس يمقتونه لولا أنه ضرورة بيولوجية تجدد العافية، ألم يقل الخيام:

فما أطال النوم عمرا ولا
قصر في الأعمار طول السهر

بلى فلا مناص من النفور من النوم لأنه يذكر بالهجوع الأبدي، ومحاكاة لعالم الموتى والشاعر يريد صخب الأنس وضجيج الحياة يقول الأخطل الصغير:

يا صارف الكأس عنا لا تضن بها
ويا أخا الوتر المكسال لا تنم

و أما الملكة اللغوية وسلاسة التعبير وعذوبة الجرس وخصوبة الخيال فهي من خصائص شعرالأخطل الصغير لا تعاني لغته ضعفا أو قلقا في التعبير، فقد كان الشعر ينبجس من نفسه بتلقائية كما ينبجس الماء من المنبع، وعلى الرغم من أن الشاعر مارس شعر التفعيلة ركوبا لموجة التجديد كما ركبها شعراء العراق الكبار ولفيف من شعراء مصرولبنان إلا أن الأخطل الصغير ظل في شعره الكلاسيكي الأنضج والأكثر إغراء،وأما شعر التفعيلة الذي مارسه فليس بذي بال بالقياس إلى شعره العمودي، تماما كما كانت قصائد صلاح عبد الصبور العمودية لا أهمية لها قياسا إلى شعره كما قرأناه في الظل و الصليب وغيره.فالأخطل الصغير مدين للبنان بالسحر الذي لف فيه شاعرنا مذ كان صبيا ويافعا وكهلا ثم هرما والشعر الحديث مدين لشاعرنا بعبقريته الشعرية التي أبدعت رؤى شعرية جميلة ولغة سلسة طيعة وصورا مبتكرة، تحاشت المديح الزائف، والتملق الكاذب والطابع النظمي الساذج والتقليد الأعمى ولئن عانى الشاعر من فجيعة الزمن وحسرة الزوال –زوال ساعات الصفاء ولحظات الأنس– ثم زوال الشاعر نفسه فعزاؤه وعزاؤنا تلك الروح الشعرية الباقية والرؤى الخالدة والقصائد التي لا ينالها الزمن بسيفه المسلط على رقابنا جميعا.

عن الحوار المتمدن

بعد غياب شاعر «الهوى والشباب"بشارة عبدالله الخوري الذي عرف بـ «الأخطل الصغير»، يقف الباحث مذهولاً خائباً إزاء التهافت المصيري الخطير الذي أصاب الشعر العربي في أقل من نصف قرن.
تحوّل الشعر العربي من فرط ما عبث به المغرضون والجهلة العاجزون متذرّعين افتراءً وزوراً بوجوب تحديثه وتبديل أساليبه وأغراضه البيانية، إلى نوع من الهذيان المعيب، الفارغ في معظم الأحيان، من أي إبداع فكري أو بلاغ تعبيري أو جاذبية موسيقية، وهي القواعد الأساسية الواجبة لعمود الشعر، ذلك الإنجاز الحضاري المميّز الذي يعد بحقّ رأس الفنون الجمالية في جميع لغات الأرض.

رفيق المعلوف

كيف بويع الاخطل الصغير لامارة الشعر؟ موقف تاريخي للشاعر الجواهري

ولمّا كان الشعر، بعد القرآن الكريم الذي تنزّل عربيًا صافيًا من لدن الله سبحانه وتعالى، هو ديوان العرب، وعنوان ثقافتهم، والحافظ المثالي الأمين لعبقرية لغتهم، وصحيح أدائها شكلاً ومضمونًا، فقد تعيّن ألا ينحطّ ذلك الشعر إلى مستوى التعبير السوقي الخاص بالأدلاّء السياحيين الذين يحسنون النطق بلغات عدة دون أن يلمّوا بعبقرية أي منها، كما تعيّن في الوقت نفسه ألاّ يتغمّر بالأساليب النثرية أيًا كانت خصائصها الجمالية لأنه يعرّض هويته للهجانة والالتباس.

ومهما تكن خطورة الأزمة التي يعانيها الشعر العربي في هذه المرحلة الزوالية من حياة الأمة وحشرجات مصيرها، ثم حاجتها أكثر من أي وقت مضى، وقبل فوات الأوان، إلى «نيابة عامة ثقافية"تعيد الأمور إلى نصابها بتأديب العجزة المخربين في صناعات الأدب والفكر والفن، فإنّ ذلك يجب ألاّ يزهّد الرعيل المتقدم من المفكرين الصابرين والنقّاد الثقات في إيلاء عباقرة الشعر والأدب حقهم، عبر أبحاث ودراسات كاشفة ومفيدة، كالتي نفتتح بها اليوم سلسلة من الفصول النقدية والتاريخية حول الأخطل الصغير وبعض المميّزين من شعراء زمانه، تكون فيها العبرة والموعظة للأدباء الشباب، من أصحاب المواهب القادرة على حمل الرسالة، وحثّ الخطى في الاتجاه الصحيح، كي لا يتحوّلوا إلى جمهرة يائسة من شهود الزور من مهرجان المساخر.

إمارة الشعر

كان «الأخطل الصغير"بشارة عبدالله الخوري قد أتمّ الخامسة والسبعين عندما تنادت الهيئات الثقافية والحكومية في بيروت إلى تكريمه في احتفال باهر قلما عرف له مثيل في لبنان والعالم العربي. وقد أقيم ذلك المهرجان في القاعة الكبرى بقصر الأونسكو في الرابع من يونيو ١٩٦١، برعاية رئيس الجمهورية يومذاك الأمير اللواء فؤاد شهاب وحضور جمع غفير مميّز من رجال الفكر والسياسة والأدب والشعر في لبنان والبلاد العربية كافة.

وقد تناوب على الكلام في الاحتفال إلى جانب الرئيس صائب سلام ممثل رئيس الجمهورية والدولة اللبنانية الراعية، كلٌ من الأدباء اللبنانيين الذين خطبوا نثراً، وهم الشيخ عبدالله العلايلي، أنطوان قازان، حافظ المنذر، سعيد عقل، وعفيف الطيبي، ثم أربعة من كبار شعراء العرب تباروا في تكريم الأخطل الصغير بقصائد من عيون الشعر، هم: صالح جودت باسم الجامعة العربية، عمر أبو ريشة باسم الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسورية)، محمد مهدي الجواهري باسم العراق، وأمين نخلة باسم لبنان.

وكان الحدث الأبرز في ذلك المهرجان أن هؤلاء الأربعة انتهزوا المناسبة الفريدة لمبايعة الأخطل الصغير إمارة الشعر، بعد مرور ثلاثة عقود على شغور هذا المنصب المعنوي الكبير بوفاة أمير الشعراء أحمد شوقي سنة ١٩٣٢.

فقد استهلّ أمين نخلة المبايعة باسم لبنان حيث قال في مطلع قصيدته:

أيقولون أخطلٌ، وصغيرُ؟..... أنتَ في دولة القوافي أميرُ
فاسحَب الذَيْلَ ما تشاءُ وجَرِّرْ..... إنَّ مُلْكَ البيانِ مُلْكٌ كبيرُ

وطابقت هذه المبايعة ما ورد في قصيدة عمر أبو ريشة الذي قال مخاطبًا لبنان:

جمعتهُمُ شِيَمُ الوفاءِ لمارِدٍ..... في الشِعرِ جَوّابِ الأَعالي قاهرِ
ضفروا له من دَوْحِ أَرزِكَ تاجَهُ..... أكرِمْ بمضفورٍ لهُ وبضافرِ
يكفيك أنّ تلقاهُ يُطلَعُ دولة..... من مجدِ أقلامٍ وعزِّ منابرِ

أما قصيدة الجواهري فقد جاءت في مجملها مبايعة كاملة رفع فيها الأخطل الصغير إلى أعلى مراتب الخلود، كما جاءت معارضة شعرية لقصيدة بشارة الخوري في بغداد التي يقول فيها:

بغدادُ ما تركَ السُرى منّي سِوى شَبَحٍ مُريبِ
وَجَفَتْ لهُ الصّحراءُ والتَفَتَ الكَثيبُ إلى الكثيبِ
وتَطَلَّعَتْ زُمَرُ الجَنادِبِ..... من فُوَيْهاتِ الثُقوبِ
يتساءَلون من الفتى..... العربيُّ في الزيِّ الغريبِ

وتجري قصيدة الجواهري على الوزن والقافية أنفسهما، ومطلعها:

لبنانُ يا خَمري وطيبي..... هلاّ لَمَمْتَ حُطامَ كوبي

ثم جاءَت المبايعة بالعبارة الواضحة في قصيدة صالح جودت ممثل الجامعة العربية حيث قال:

كلُّ تلكَ المعادنِ المختارةْ..... صاغَ منها حبيبُنا أوتارَهْ
وجَلا من خُيوطها أشعارهْ..... فَعَقَدْنَا لهُ لِواءَ الإمارةْ

وكانت للأخطل الصغير مقطوعة شعرية فائقة الروعة مدرجة في صحائف الخلود، لاتزال الأجيال العربية تردّدها وستبقى إلى أجل بعيد، فقد أرادها مسك الختام لذلك المهرجان، وهي آخر ما قرأنا له من روائع الشعر سوى أبيات قليلة متفرقة في مناسبات مميّزة كان يحدث خلالها الحضور بنثره الشائق بعدما غلب سليقته ريب الزمان، وتناهت حياته تحت أعباء التسعين ليلقى وجه ربّه بالتسليم والرضا والأمان.

قال الشاعر في مهرجان مبايعته:

أَيَوْمَ أصبحتُ لا شَمسي ولا قَمري؟..... مَنْ ذا يُغَنّي على عودٍ بلا وتَرِ
إنّ القوافي إذا جاذَبتُها نفَرَتْ..... رَعَتْ شبابي وخانتني على كِبَرِ
كأنّها ما ارْتَوَتْ من أدْمُعي ودَمي..... ولا غَذَّتْها ليالي الوَجدِ والسَّهَرِ
أينَ القصائدُ تُندي مِن جَوانِحها..... رَيْحانَةَ السَّفْحِ أو أغنيَّةَ النَهَرِ
شعرٌ كما شاءَهُ الإبداعُ مُبْتَكَرٌ.....

تَدفّقتْ فيه أمواجٌ من الصُوَر
غنّـى العُروبَـةَ ألحانًا مُجنّحَـةً..... من
دَمعة الليل أو من بَسمة السَحَر
من صَخرِ لبنانَ من شَلاّلِ قِرْنَتِـه.....
وما تَسلسَلَ من آياته البُكُر
ما لي بأضوعَ ما في الرَوضِ أنشرُهُ.....
على المفارق من إخواني الغُرَر
صُغْتُ القَريضَ وما لي في القريضِ
يدٌ..... يدُ الطبيعةِ فيه أو يدُ القَدَر
إنَّ المواهبَ لا فضلٌ لصاحبها.....
كالصوتِ للطيرِ أو كالنَفحِ للزهَرِ

مبايعة شعراء المهجر

وسرعان ما نقلت جوائب الصحافة وبرقيات الإذاعة وقائع المهرجان الكبير الخاص بمبايعة الأخطل الصغير إمارة الشعر، إلى المغتربين العرب وخصوصاً اللبنانيين منهم، والسوريين الذين حفظوا تراث الضاد في مجتمعاتهم البعيدة المنتشرة عبر «الأندلسيات الجديدة» ولاسيما في أرض كولومبس بين الأمريكتين، كما عمّم الشاعر المهجري الكبير شفيق المعلوف، من «العصبة الأندلسية» في سان باولو (البرازيل)، خبر المبايعة على من بقي حيًا من شعراء «الرابطة القلمية» في الولايات المتحدة، وغيرها من المهاجر النائية، طالبًا إليهم تدوين تلك المناسبة شعرًا في تكريم الأخطل الصغير، وكلف الأستاذ فارس الدبغي باسم أدباء الاغتراب إرسال القصائد إلى الدكتور فؤاد صرّوف في جامعة بيروت الأميركية، لإقامة احتفال خاص بمبايعة شعراء المهجر.

وفي الخامس من نوفمبر ١٩٦١، أي بعد ستة أشهر فقط من مهرجان الأونسكو في العاصمة اللبنانية، احتفل في قاعة «وست هول" الكبرى في الجامعة الأمريكية بـ «مبايعة شعراء المهجر للأخطل الصغير" وذلك بحضور مميّز حظي بمشاركة الحكومة اللبنانية وسائر الهيئات الثقافية والوطنية، ونخبة أهل القلم ورجال الفكر والصحافة والعلم والأدب والاقتصاد، فضلاً عن المؤسسات الجامعية والتربوية كافة في لبنان والدول العربية الشقيقة.

وبعد كلمة الافتتاح التي ألقاها الدكتور فؤاد صرّوف. وكلمة أدباء البرازيل التي ألقاها الأستاذ فارس الدبغي، ارتجل عرّيف الحفلة الشيخ أحمد يوسف حمود، كلمة لطيفة تلا على إثرها أبياتًا للشاعر الشيخ حنا زخريا، ثم أعقبت ذلك تلاوة القصائد المهجرية، وسط جوّ من الحماسة الفائقة والتذوّق العارم والتصفيق الحاد، وقد جاء في قصيدة حنا زخريّا قوله:

يكرمُ العلمُ فيكَ والأدبُ..... يكرمُ الفنُّ
فيكَ والحَسَبُ
هذا أميرُ دولةٍ شملَتْ..... كلَّ الدُويلاتِ
دينُها الأدَبُ

وجاء في قصيدة الشاعر إبراهيم البسيط التي قرأها الأستاذ حسيب عبدالساتر:

ما كَرّمـوكَ ولكنْ كَرَّمـوا الأدَبـا..... تا
الله ما ذاكَ إلاّ بعضَ ما وَجَبا
إنْ كانَ للشعرِ أهلٌ يُستَعزُّ بهِمْ..... فأنتَ
للشعرِ أهلٌ أنْ تكونَ أبا

وقرأ الشاعر رياض المعلوف أبيات أخيه الشاعر شفيق المعلوف محفورة على صحيفة من الذهب قدّمها إلى المحتفى به باسم أدباء البرازيل، ويقول فيها:

عبقريٌّ نفرشُ التبْرَ لَهُ..... ولو اسطَعْنَا
فَرَشْنَا المُهَجا
واندَفَعْنَا زَغْرَداتٍ في المدى..... نقْحُمَ
الريحَ ونَطوي اللُّجَجا
وحَملناها إلى سُدّةِ مَنْ..... أرْقَصَ
العقْدَ وهَزَّ الدُمْلُجا
أمَلُ الشعرِ المُرَجّى يومَ لمْ..... يبقَ
للشعرِ بَقَيّاتٌ رَجا

وكان مسك الختام للأخطل الصغير الذي توجه إلى الحضور ومنظمي الاحتفال بكلمة شكر طافحة بأرق العواطف وأطيب المشاعر، استهلّها بالقول «تبسّمي يا جروحي – روحي تعانق روحي». وختمها بالتحية إلى لبنان المغترب والمقيم حيث يقول:

شطرانِ قلبي، شطرٌ للمقيمِ بهِ..... على
الوفاءِ وشطرٌ للذي نزحا

الذكرى الأولى بعد النكبة

ومرّت هزائم الستينيات على الأزمة مرورًا صاعقًا بلغ من الهول حدًا أخرس الشعراء، وقد أرتج عليهم في غمرة الأخطار والمآتم والأحزان التي بلغت مداها في يونيو ١٩٦٧، حيث طغى اليأس على أعماق النفس العربية وغلغل في طيات كيانها الذبيح، فمضت تكفكف دموع النكبة في خجل واكتئاب لم تعرف له مثيلا في تاريخها، وممّا قاله لي الشاعر عبدالله الخوري كبير أبناء الأخطل الصغير، رحمهما الله، أن أباه غرغر بهزيمة العرب في حرب يونيو المشؤومة، وأصابه النزع قبل أوانه، فكان يحشرج بأبيات من الشعر القديم، وخصوصًا مرثاة أبي ذؤيب الهُذَلي الذي مات أولاده الخمسة بالطاعون، ومطلعها:

أمِنَ المَنونِ ورَيْبِها تَتوجَّعُ..... والدهرُ
ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وظلّ الأخطل الصغير على تلك الحال من الكآبة والضنى، إلى أن وافاه الأجل سنة ١٩٦٨ بعد أقلّ من عام واحد على الكارثة.

وكانت مصادفة عارضة ما لبثت أن حالت وبالاً على لبنان خلال السبعينيات، وهي أنه لم يشترك في حرب يونيو ١٩٦٧، فلم يصبه بالتالي ما أصاب مصر وسورية والأردن من ذيول النكبة وآثارها السلبية المباشرة، لكنه بقي مكظومًا يحبس مرارته في ألم واحتساب، ولجأ إليه الكثيرون من شعراء العرب وأدبائهم في تلك المرحلة، حيث كانوا يشعرون فيه على الأقل ولو إلى حين، أن طبيعة الأشياء لم تنقلب على ذاتها، كما حصل في أرض الكنانة وسائر بلاد الشام.

وما كاد العام الأول يمضي على وفاة أميرهم، حتى وجدوا في الدعوة إلى الاحتفال بذكرى الأخطل الصغير التي صدرت عن نقابتي الصحافة والمحرّرين وآل الفقيد برعاية الدولة وعلى رأسها رجل الثقافة والأدب الرئيس شارل حلو، مناسبة

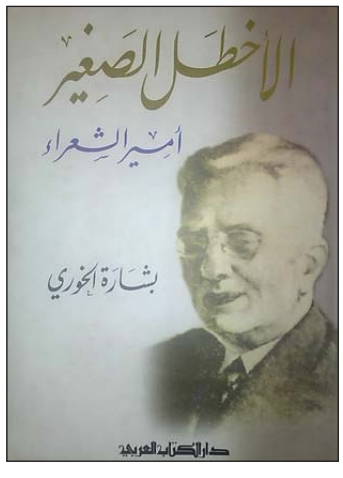

نادرة للتعبير عن انفعالاتهم وما يعتلج في قرائحهم وصدورهم من مشاعر الخيبة والمرارة لانهزام العرب أمام عدوّهم، وتآمر بعض المتخاذلين في صفوفهم مع القوى الأجنبية الكبرى، على الأمة العربية وحكوماتها وجيوشها، مما ألحق بها تلك الهزيمة النكراء.

التطرف الذي أسقط التضامن

وحدّد يوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٦٩ موعدًا للاحتفال بالذكرى في القاعة الكبرى بقصر الأونسكو، فكان للشعر يوم مشهود حضره رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة وأعيان لبنان من القطاعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية جمعاء، فضلاً عن رعيل ألمعيّ من رجالات العرب وأرباب السيف والقلم في الديار القريبة والبعيدة. وتبارى على المنبر في عكاظ بيروت عشرة من كبار الشعراء يمثلون معظم الأقطار العربية هم على التوالي، وفق ما أعلنه العرّيف صلاح الأسير، كل من عزيز أباظة (مصر) عمر أبو ريشة (سورية) لميعة العمارة (العراق) عبدالمنعم الرفاعي (الأردن) أحمد السقّاف (الكويت وإمارات الخليج) محمد الفيتوري (السودان) حسن القرشي (السعودية) كمال ناصر (فلسطين) وسعيد عقل (لبنان)، بالإضافة إلى نجل الأخطل الصغير الشاعر عبدالله الخوري، بينما اعتذر شفيق المعلوف الذي كان يفترض أن يمثل المغتربين العرب، وحالت ظروف قاهرة دون حضوره من البرازيل.

وتحوّل عكاظ بيروت في مناسبة الوفاء للأخطل الصغير، إلى مهرجان سياسي بامتياز صبّ العديد من خطبائه جام غضبهم شعرًا ضدّ بعض الأنظمة العربية، ممّا أحدث انقسامات عريضة في الرأي بين اللبنانيين وعتبًا معلنًا في معظم الأوساط العربية المعنية. ويمكن القول إن تلك المناسبة التي أرادها البلد فرصة ذهبية تؤلف بين أبنائه من طريق الشعر، وهو مرآة الحق والخير والجمال، كانت بمنزلة الإسفين الأول الذي وسع الشرخ بين الأحزاب والتيّارات الأيديولوجية المتناصبة، فتوقفت بعدها مهرجانات الشعر، ومباريات الأدب وأغاريد الفن والتسامح والسلام. ليحلّ محلّها صراع الأفكار والآراء الحاقدة ودعوات التطرف والتنابز التي جسّدتها الحرب الأهلية ابتداء من مطلع السبعينيات، ولاتزال مفاعيلها وزلازلها الارتدادية تتواصل إلى اليوم.

عن مجلة الاديب

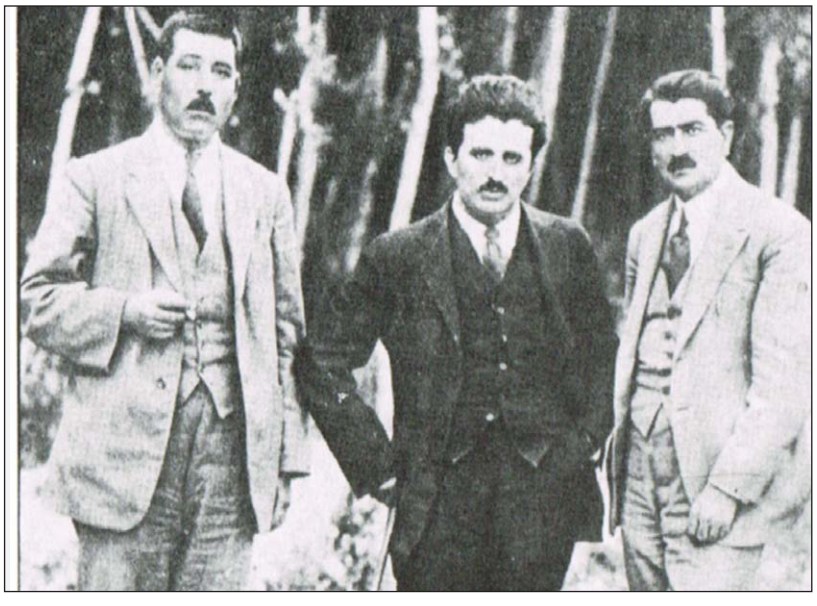

من بقايـا ذاكرة الأخطـل الصغير

رفعة عبد الرزاق محمد

لا ادري هل جُمعت الذكريات التي كتبها الشاعر الكبيربشارة الخوري المشهور بالاخطل الصغير، ونشرها في المجلات العربية في الثلاثينيات؟. ولو قيض لهذه المذكرات الاحياء في كتاب مستقل، لأصبحت تحفة ادبية رائعة تضاف الى روائع كاتبها،

وأضمامة تاريخية نفيسة عن الادب العربي الحديث في اوائل القرن العشرين. فهي تضم معلومات طريفة على جانب كبير من الاهمية، وتكشف اسراراً خطيرة من حياة الادباء العرب، وتعاونهم الوثيق في سبيل حياة ادبية بعيدة عن القهر الفكري والسلطوي.

وعلى نهجنا في جمع شوارد تاريخنا القريب، والتنويه بما هو جدير بالذكر، ويعد اضافة جديدة لمن يعنيه الامر، فقد علمنا ان بشارة الخوري قد كتب ذكرياته عن مجموعة من ادباء العراق الكبار امثال الرصافي والزهاوي والكاظمي. ودفعنا فضولنا في ملاحقة الشوارد المنسية الى الاطلاع على بعض من فصول مذكرات الاخطل الصغير التي سماها (من بقايا الذاكرة)، فوجدناها تتضمن معلومات مثيرة عن حياة ادبائنا في العقد الاول من القرن العشرين، وصلة كاتب المذكرات بتلك الاحداث.

يذكر الخوري انه كان يشك في ان يكون الرصافي اسما لرجل من لحم ودم يستهدف لنقمة السلطان ولمن في بغداد من الرجعيين اعداء الاصلاح. غير ان معروف الرصافي لم يلبث ان قدم بيروت في اوائل شباط ١٩٠٩، فتم الاجتماع به في (قهوة البحر)، وقد ذهب اليها الخوري مع الشاعر اسعد رستم، فاذا هو يحيط به الشيخ رشيد رضا والشيخ محيي الدين الخياط والشيخ مصطفى الغلاييني ومحمد افندي الباقر، وكان الرصافي مجببا معمما،ولم يطل الرصافي مقامه في بيروت لانه كان في طريقه الى الاستانة وقد دعي اليها ليتولى انشاء جريدة (اقدام). وما ذكره الخوري كان مشابها لما ذكره نعوم لبكي في مقال له في جريدته (المناظر) التي اصدرها في امريكا واعتقد فيها ان الرصافي توقيع مستعار لشاعر عربي كبير يخشى اظهار اسمه الحقيقي لخشيته من السلطات العثمانية. فانبرى للرد على لبكي المرحوم محمد كرد علي في مقالات له على صفحات جريدة (المؤيد) القاهرية. وكثر الاخذ و الرد بينهما، واستطاع كرد علي ان يثبت ان الرصافي لقب لشاعر بغدادي لامع يدعى معروف الرصافي. وقد قرأت في مقال كتبه الاب لويس شيخو اليسوعي بعنوان (الحماسة الدستورية) في مجلته (المشرق) لعام ١٩٠٩ ما يفيد ان الرصافي الشاعر الوحيد الذي طالب بخلع السلطان عبد الحميد، بل دعا الى اسقاط الملكية واقامة الجمهورية في قصيدة (رقية الصريع).

ولم تلق المهمة التي قصدها الرصافي في الاستانة التوفيق، فقرر العودة الى وطنه، فمر ثانية ببيروت، يقول الاخطل الصغير:عاد الرصافي في اواخر عام ١٩٠٩ فاقبل توا على ادارة جريدة (البرق) – كان الاخطل يصدرها –، وكنا ساعتئذ نهم بنزهة في الجبل، فلم يتردد الرصافي في قبول دعوتنا لاسيما وقد كان الريحاني في (الفريكة)، فاطبقنا به واحتللنا صيوانه وقد كان يصحبنا الاديب الفكه المرحوم الياس خليل يمتعنا بنكاته حينا وبصوته حينا. في الحق انها متعة الانفس ومشتهاها، الرصافي والريحاني يلتقيان لاول مرة تحت وابل من الاحاديث العلمية والاراء في الالوهية وتاثير القمر في الجاذبية ومكانة المراة الشرقية من الرجل.

وزار الرصافي في زيارته الثاني الاخطل الصغير، الذي هيأ له مجلسا جمع فيه الرصافي مع الشيخ عبد الله البستاني، يصفها الاخطل بقوله: هي ليلة التقى فيها الرصافي بالبستاني.. وكان يوحشنا فيها شيخنا العازر لولا الذي انشده داود مجاعص واميل خوري من شعره ووقف له الرصافي اعجابا. وشرب البستاني نخب زميله فقال:

اني لأشربها على ذكر امرىء
هو بالبلاغة والنهى معروف
ان كنت تنكره فليس بضائر
ابدا عليه فانه (معروف)

فردّ عليه الرصافي بقوله:

اني لأشربها على شرف الذي
الفضل فيه ليس بالمتناهي
ان الفصاحة والبلاغة والنهى
والفضل اجمع عند (عبد الله)

×××××

ولم تكن شهرة الزهاوي قبل اعلان الدستور في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨ لتقل عن شهرة الرصافي، فقد كانا فرسي الرهان يومذاك. ويذكر الاخطل الصغير ان علاقته بالزهاوي بدأت عندما تلقى منه قصيدة لينشرها في جريدته الذائعة (البرق) وارسلها مع رسالة جاء فيها:

وقد منعني الاطباء في بغداد اجهاد الفكر، يريدون بمنعهم ان يعود الى قليل من الصحة ولكني قد اعصيهم فاشدوا الشعر وهذه النفثات اخر ما شدوته منه اهديها الى (البرق) المتالق في سماء الصحافة العربية، بغداد في ١١ حزيران ١٩١١.

وما هي الاّ اسابيع حتى تلقى الاخطل الصغير رسالة ثانية من الزهاوي (١٤ تموز١٩١١) نقلها الاخطل في ذكرياته، نقتطف منها هذه السطور:

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر
لعل بالجزع اِعوانا على السهر
... واخبركم ان مبعوث الحلة مصطفى افندي الواعظ لم يكفه انه سعى في السنة الماضية عند ناظم باشا – والي بغداد – فعزاني من وظيفتي حتى جاء في هذه السنة لينشر كتاب (الارشاد) ويثير علي الرعاع وانصار الجهل كأن الكتب التي ألفت قبله ضدي قليلة. وما انا بمن يبالي به لولا علمي ان بركان التعصب في بغداد سريع الانفجار ايها الصديق العزيز.

ويذكر الاخطل الصغير انه لم يكد ينتهي من مطالعة هذه الرسالة حتى اتصل بالشيخ اسكندر العازر والشيخ محيي الدين الخياط كبير ادباء بيروت واتفق معهما على مساعدة الزهاوي في محنته. فانصرفوا يترقبون وصول جمال باشا الى بيروت ليثيروا امامه قضية عزل الزهاوي، وتقصير الحكومة الدستورية نحو كبار الادباء العرب الذين لعبوا دورا كبيرا في دك صروح الاستبداد وتوجيه الناس نحو الحرية دون خشية او ضعف.

وعندما استقر والي بغداد الجديد، حتى صدر الامر بتعيين الزهاوي براتب اربعين ليرة عثمانية في الشهر، فوفى بما وعد ادباء بيروت عند مقابلتهم له وهو في طريقه الى بغداد. ان ما ذكره الشاعر الكبير الاخطل الصغير يضيف فائدة كبيرة لمن يعنيه تطور الفكر في العراق الحديث، ولاسيما قضية خطيرة شغلت العراقيين في اوائل القرن العشرين، وهي قضية تحرير المرأة.

كتب الزهاوي في جريدة (المؤيد) المصرية ليوم ٧ اب ١٩١٠ بعنوان (المراة والدفاع عنها). ولم يكد يصل هذا العدد من الجريدة الى بغداد حتى ثارت ثائرة (المحافظين) ورجال الدين ومعهم الرأي العام. ومجاراة لهم قرر والي بغداد ناظم باشا عزل الزهاوي عن وظيفته في مدرسة الحقوق،واختفى الشاعر في داره خوفا من اعتداء العوام عليه. والطريف ان اذكر هنا، ان الاستاذ مصطفى علي كتب مقالا في جريدة (البلد) البغدادية ليوم ٢ اب ١٩٦٥ بعنوان (حقائق مجهولة عن الزهاوي).

في محراب الشاعر

الشيخ عبد الله العلايلي

لعلها البادرة الاولى الحميدة، في لبنان، ان تكرم المعيأ والحياة ملء برديه، فيعرف ان مجتمعه بقدره قدره، ولم يغفله زهرة تذوي على ذات نفسها في النضرة، في العبق، في الطيب.. ولم يدعه كالشمعة وهي تعطي الضياء تسيل قطرة قطرة موصولة بقطرة، وعبرة لا تنفك عن عبرة الى انطفاء.

وخليق بعبقري اعطى، ان يجزى، وقليل مهما جل العطاء في جنب العبقري النافع الجزاء.

غنه يراعة من منابت الآلهة، فما جرت على قرطاس، إلا رسمت الف لون ولون، وانهمرت الجمالات انهمار الشعاع من فم الفجر، وبتعبير شاعرنا في العلاييني:

فتن الفجر سني عمْته
فأتى بلثمها فانطبعاَ

سواء اكان الفن هو الذي يقلد الطبيعة، أم الطبيعة هي التي تقلد الفن، فمما لا ريب فيه، ان الشعر يجنحها جميعا، فالشعر في حقيقته هو الغاية التي ينتهي إليها كل تكيف فني.

ففيه الطبيعة ضرب من الحس المبدع، وفيه الفن لون من الاتساق الأزلي الخالد.. وهذه الكلمة – على أني لم اعقدها لحديث الشعر الخاص بل للاشارة الى الشاعر – لا اجد معدى، وانا احس بالصلة الشاملة، عن أن اقيمها على بعض خطوط وصفية يلوح من خلالها وجه الشعر الحق.. واعني: يلوح من خلالها وجه الشاعر.

أرى في الشعر: انه كائن حي فيه وحدة الحياة الانسانية ووحدة الحياة الشائعة في سائر اجزاء الوجود.

وجميل حقا ان نرى الشعر من هذه الزاوية، زاوية انه كائن يتمتع باخص صفات الحياة.. فهو يامل ويألم، ويحب ويهيم، ويفكر ويحلم، الى غير ذلك كله من خصائص الاحياء، ولكنها في الشعر خصائص كلية.

نعم إن الشعر الحي، يرينا في القطعة المتفجعة انفاسا تذوب حقا وتنقطع حقا في صدر قريب منا، تضطرب حناياه وتطرد، حتى لنسمع ونبصر دموعه المتساقطة الى مهواها. كما يرسم في القطاعة الضاحكة، الشفاه المفترة، حتى لكأنما هو يجسد اللحظة الملهمة، والهنيهة في قلب الابداع.

أما القطعة حين لا تجيء اكثر من صورة. فإنها صنو الجسد الثاوي: فيه تقاطيع، وفيه جمالات وفيه اشكال تامة، ولكنها فاقدة الحرارة لانها فاقدة الحياة.

وشاعرنا الاكبر من بعد، جاء بحق هبة نادرة عن يد الشعر، وفي بسطة كف امتدت بجود وسخاء. وانت دون شك، تلمس من هذا الجود وهذا السخاء، وتلمس كثيرا في ما يعرض من صور مشبوبة الحس، تواقة الروح، بادية الخصب.

ولصوره طابع متميز، فهي تعطيك ولا تفتأ، تعطيك ولا تنقطع.. وإذا انت على العهد القريب بها، تحسبها جديدة، جديدة كانما لم تقع اليك من قبل.. وإذا انت تقبل عليها وتقرؤها بلذة الطريف البدع، في كل ما له من حرارة وتعلق.

وهذا الاعتمال الدائب، هو ميزة فن الحياة، او قل هو ميزة الحياة حينما تتأنق لتعطي فنا.

وابونواس في العهد العتيق، احس بهذا الاعتمال احساسا حسنا وعبر عنه تعبيرا صادقا في هنيهة شعرية ملهمة:

يزيدك وجهه حسنا
إذا ما زدته نظراً

فهذا الوجه النواسي ليس كما تعرف من الوجوه الفاتنة، التي تختصر فتنتها بنظرة ثم تنزلق. بل وجه لا يكاد يتراءى لك حتى تعلق عليه مقلتاك، لأنه لا ينفك يتكشف عن جديد، ولا يفتأ يتزحزح عن أسرار.

فاذا النظرة نظرة موصولة وهكذا تتوهم، واذا هي بدايات مطردة لا تموت في نهاية. هذا الاعتمال او هذا الدفق الزاخر بموهبة الجمال، الذي احس به ابو نواس حيال شيء من الحياة.. نحن نحس بمثله حيال بعض من الادب، وحيال بعض من الفن.

وليس لي في هذه الكلمة العجلى ان اضع محاسن شاعرنا الكبير او بعضها، موضع التحليل فشأن ذلك دراسة كاملة مستفيضة.

وحسبي من الاشارة اليه: انه على إبداعه، مترع البيان مترفه، حتى لتخال ان حروفه مسحتها شفاه مرآة.

مجلة الاديب اللبنانية/ ١٩٥١

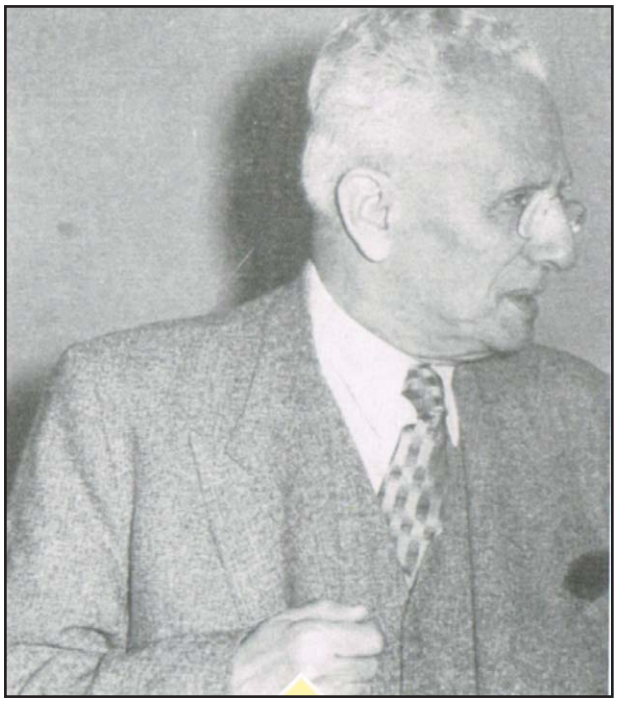

شاعر الهوى والشباب

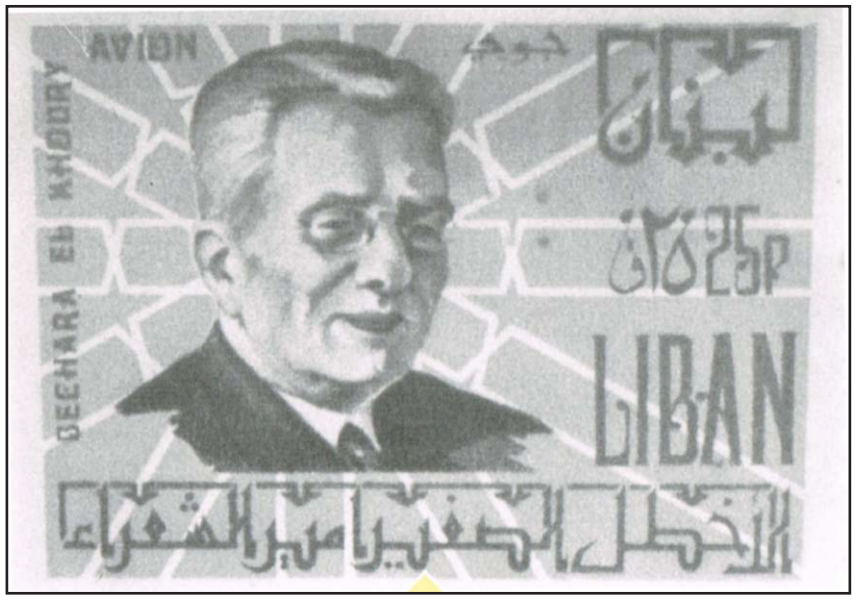

محمود تيمور

خلوت الى "ديوان الهوى والشباب" ساعة، اسائله عن صاحبه، وازداد من تعرف به، فانست وطابت لي النجوى معه، واستروحت منه متاعاً وسلوة، طويت الكتاب في اكبار له، وانثنيت الى نفسي اسائلها: لطالما نعى النقاد على الشعر العربي انه غنائي كله، ولطالما اهابوا بشعراء العربية ان ينزعوا تلك المنازع التي يحفل بها شعر الغرب، فهل قصد النقاد في نعيهم على ذلك الشعر وإهابتهم باولئك الشعراء، ان يحرموا ادب العروبة هذا اللون الذي نستشرف اطيافه الخلابة في قصائد الشاعر "بشارة الخوري"، يحضرني هنا قول شاعر الهوى والشباب:

الصوت موهبة السماء فطائر
يشدو على غصن وآخر يتعب
يا هند إني كالهزار فان يكن
هو مذنبا فانا كذلك مذنب
في هذه الهتفة الصادقة مفتاح الجواب الصادق.. فان الوان الشعر ومنازعه، توزن ويفاضل بين بعضها وبعض، بما يكمن فيها من قوة الموهبة، واصالة الفن وصدق التعبير، قبل مختلف القيم والاعتبارات وبذلك يدين شاعرنا في قوله:

إن لم يكن لك حسن الوجه تعرضه
فقد ظلمت به اثوابك القشبا
على ان الشعر الغنائي باق ما بقي الكائن البشري نزوعا الى التغني بما يجيش في وجدانه، ولوعا بالتعبير عن مباهجه واحزانه، تخالجه تلك المشاعر الرقاق، كانها نبضات القلب الحساس، هادئة لا تكاد تبلغ الاسماع، ولكنها هي السر كل السر في ضجيج الحياة وجلبة الكون جميعا.

ولعل شاعرنا كان ينظر الى هذه القضية الادبية حين قال في تحيته "للمتنبي":

لم الق كالشعر مظلوماً فقد حشدوا
لحربه حسد الحساد والثوبا
يرمي بكل قبيح من مثالبهم
ويرفعون له الانصاب ان ذهبا
مثل المسيح تغالوا في اذيته
والهوه ولكن بعد ان صلبا

هذه نفس شاعرة، توهجت فيها العاطفة اكبر ما تتوهج، ورق احساسها بالحياة والمجتمع وحلقت في افاق من الاخيلة رحاب، فرف تعبيرها نغما جميلا يترسل على السمع كانه رقية ساحر.

وصاحب "الهوى والشباب" يعرف ذلك من نفسه حين يقول:

قسمت فؤادي بين بؤسي والهوى
فهذا له شطر وهذا له شطر
لقد توافر له اجمل ما يتوافر للشاعر العربي من خصائص البيان العربين فاللفظ منتقى، والنسج رقيق، والقوافي ميسورة عليه لا يتكلف لها، ولا يعبأ بها،

وإن امتد نفس القصيد.. ولكن هذه المزايا تحتشد من ورائها عبقرية التصوير والاداء، تلك العبقرية التي تسفر بها الاخيلة والمعاني جديدة الطابع طريفة الاطار، تسجل لصاحبها طرازه الخاص بين شعراء عصره بل شعراء الادب العربي منذ العصور المواضي الى يومه الحاضر.

اعجب العجب في ديوان "الهوى والشباب" ذلك الشعر الذي نسميه "شعر المناسبات" فقد احتوى الديوان قصائد من نحو المرثيات والاجتماعيات، ولو اننا اغفلنا عنوانات هذه القصائد، وانشدنا ابياتها تستجلي ما فيها من المعاني، لراعتنا منها صور شعرية، لا ترتبط بالمناسبة، ولا تستمد منها ما فيها من قيمة فنية.

هذا مطلع قصيدة له:

حكمة الدهر ان نعيش سكارى
فاجمعا لي الكؤوس والاوتارا
واجلواها دنيا ممتعة الحسـ
ـن كما تجلوان غحدى العذارى
فانهب العيش لا ابا لك تهبأ
واطرح عنك وجهك المستعارا
لست مهما عمرت غير جناح
حط في الدوح لحظة ثم طارا

ليس هذا مطلع قصيدة لهو ومجون، وانما هي ابيات تمثل لك فلسفة الحياة وحكمة الوجود، وتصور لك في مجراها الى منتهاها نفسا شاكية تلتاع اسى لما يلقى النابغون من ظلم الدهر وجحود المجتمع. انها قصيدة في تأبين الشاعر "جبران خليل جبران".

واستمع الى قوله:

ايها الجدول الوديع الذي ينـ
ـشر سر الحياة في جريانه
ايها المدمع الحنون الذي لولاه
ما افتر مبسم عن جمائه
ايها المنشد الكئيب الذي تسـ
ـمر زهر الدجى على تحنانه
امن العدل ان تعفر في التـ
ـرب وبزهو ورد على اغصانه
امن العدل ان تنام على الصـ
ـخر ويغفو قطر على ريحانه
امن العدل ان تنوح على العشـ
ـب ويشدو طير على اوكائه
هكذا الشاعر الشقي يغني
فيغذي الافراح من احزانه

بهذه الصورة الشعرية الشاجية يرثي الشاعر صديقه "الياس فياض".

وفي قصائده "الجبل الملهم" و"تحية فلسطين" و"زاهرة الربى" امثلة من شعر المناسبات تربك منهجه في استيحاء موضوعه، واستلهام مناسبته، بروح الشاعر وطبعه، فهو لا يجرد من نفسه خطيب محفل، ولا واعظ منبر، ولا فيلسوف صومعة، ولا صواغ قافية، وانما هو شاعر هيمان الروح يتصيد بشاعريته روائع من الصور الفنية تحمل في ثناياها سريرة الحياة وجوهر الوجود.

لقد خلص "بشارة الخوري" بشاعريته للحب والجمال والخير، فهو وصاف الجمال في المعاني والصور، وهو يتغنى بالحب اروع التغني فلا غزو ان يحنو على ذكرى المحبين يصور وجدهم واشجانهم في قصائده، "عروة وعقراء" و"عمر بن ابي ربيعة" و"سلفين وجيروم".

وانه ليبث الامه لمآسي الحياة في قصص شائق، كما في قصائده "الريال المزيف" و"المسلول" و"عذراء لبنان" ولست ادري وقد انس الشاعر من نفسه هذا التوفيق في صياغة القصة الشعرية، وعرض الشخصيات في ذلك المعرض الجميل، كيف ضن على الادب العربي بالتمثيليات المطولة وضعاً او ترجمة وهو على النهوض بذلك قادر، وعسى ان يكون قد فعل، او لعله فاعل.

شاعرنا يهز نفسك في مطاوي شعره بوثبات من التامل والتفكير تملك عليك لبك، إذ تتبين فيها وعي الشاعر في تعرف اسرار النفوس وخفايا الحياة.

يقول في قصيدة "المتنبي":

طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة
فشاء ربك الا تدرك الطلبا
إذن لأثكلت ام الشعر واحدها
وعطل الوكر لا شدواً ولا زغبا
لولا طماحك ما غنيت قافية
بواتها الشمس او قلدتها الحقبا
قد يؤثر الدهر انسانا فيحرمه
من يمنع الشيء احيانا فقد وهبا

وهكذا يمجد في "المتنبي" ذلك الحرمان الذي اتاه شاعريته والطماح الذي الهب نوازع نفسه، وهو بذلك يكتشف لنا سر عبقرية "المتنبي" في لمحة شعرية بارعة.

وقد سوى لنا شاعرنا تمثالا من الحسن في فتاة تشكو الى أمها وفرة المتهافتين عليها، وذلك في قصيدته "هند وامها" وختم القصيدة بقوله:

فقالت وقد ضحكت امها
وماست من العجب في بردتين
عرفتهم واحداً واحداً
وذقت الذي ذقته مرتين!

وتلك لفتة انسانية عميقة، تجلو غريزة في نفس المرأة اصيلة وإن سيقت في القصيدة مساق الدعابة والمفاكهة.

وانت تقرأ مترجمات الاستاذ "بشارة الخوري" من الشعر الغربي، فاذا هي في حضانة شاعريته قد تمت وترعرعت وبدت عربية السمات، مأنوسة الطابع، لا تكاد تحس فيها اثر النقل، فلو شاء ادعاها لنفسه لا ينازعه فيها احد.

حيا الله شاعر الهوى والشباب ولا خلت يده من دنياه التي يقول فيها:

من كان من دنياه ينفض راحه

فانا على دنياي اقبض راحي

مجلة الهلال/ ١٩٥٦

حـــــوار مع الأخطـــــل الصغيـــــر :

صغت القريض ومالي في القريض يد..

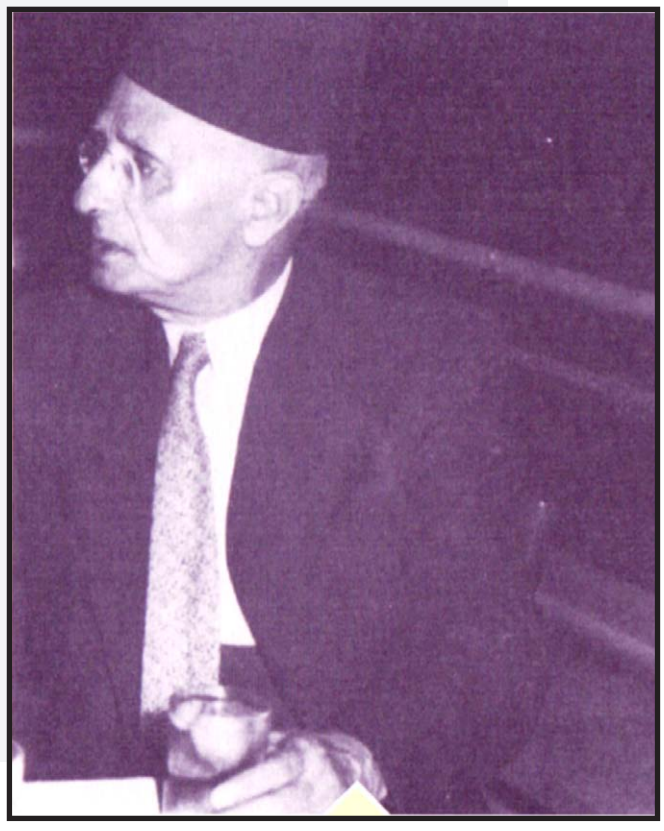

جابر جعفر الخطاب

تحت ظلال (الهوى والشباب) التقيته وعلى بساط القوافي المعشبة التي يفرشها لزواره وعشاق شعره فكانت كلماته الرقيقة تتدفق جداول خمر وعطر ومحبة فتسكر عشاقها وتحلق بهم في أجواء الخيال فأشعاره غابة الحان متناسقة تجمع بين الموسيقى الشعرية والعذوبة اللفظية فهي تلحن نفسها بنفسها ولا تحتاج إلى أوتار لأنها تنسحب على أوتار القلوب كما ينساب ضوء القمر على صفحة النهر الغافي ويتغلغل في أمواجه الحالمة

١ – سألته: ماهي موحيات الشعر عندك؟ فأجابني.....
الهوى والشباب والأمل المنشودُ...توحي فتبعثُ الشعر حيّا
٢ – ولكن لماذا تبدو حزينا؟
والهوى والشباب والأملُ المنشودُ..ضاعت جميعها من يديا
٣ – وكيف عرفت ذلك؟
يشربُ الكأسَ ذو الحجى ويُبَقي...لغدٍ في قرارة الكأس شيا
٤ – وهل لك غدٌ تنظر إليه؟
لم يكن لي غدٌ فأفرغتُ كأسي.. ثمَ حطمتها على شفتيا

٥- متى بدأت علاقتك بالخمرة
وُلدَ الهوى والخمرُ ليلةَ مولدي...وسيحملانِ معي على ألواحي
٦-- وهل هنالك تقاليد لمجالسها وآداب خاصة بها؟
أدبُ الشراب إذا المدامةُ عربدت....في كأسها أن لا تكون الصاحي
٧- وهل صحيح ما زعم البعض بأنك تنوي الإقلاع عنها والتوبة منها؟ أجابني بعصبية ظاهرة وكأن السؤال قد استفزه..
كذبَ الواشي وخاب..... منِ رأى الشاعرَ تاب
عمرهُ فجرٌ من الحب...وليلٌ من شراب
٨- ما رأيك بشعر المَديح ومن يستحقه في تصورك؟
إن كان لا بدَ من مدحٍ تنمقهُ..فامدح لنا الورد أو فامدح لنا القدحا
من يسرق الخبزَ إنقاذاً لصبيته ...أحقُ بالعذر ممن يسرق المدَحا
٩- تمتد الطبيعة إلى شعرك وتمتزج معه حتى يصبح جزءاً منها فما السر
كلما غنيتُ لحنا.... في ديار البلبلِ
سرقَ اللحنَ وألقاهُ...بأذن الجدولِ

١٠ – ماهي أجمل الذكريات التي تراود مخيلتك من أيام الصبا والشباب؟
رددي ذكرى لقانا الأولِ وتساقينا كؤوس الغزل
وافتراشَ العشب عند الجدولِ
١١ – من أنت وماذا تقول في نفسك وشعرك؟
أنا طيفٌ من خيالات الليالي
من صدى الوادي ومن همس الدوالي
كم على الصحراء وشيٌ من خيالي
وعلى البحر يتيماتي الغوا لي
١٢ – حسادك كثيرون فكيف ترد عليهم؟
ومعشر حاولوا هدمي ولو ذكروا.... لكان أكثر ما يبنون من أدبيِ
تركتهم في جحيمٍ من وساوسهم... ورحت أسحب أذيالي على السحبِ
١٣- وما هُو الوصف الذي أطلقته على بعض الحكام الأذلاء أمام أسيادهم
إذا ما ضربتَ الكلبَ يعوي وربما.....تقحمَ مؤذيه وعضَ بنابه
وفي الشرقَ ناسٌ لو سحقتَ رؤوسَهم..لما نبَسوا فليستحوا من كلابه
١٤ – في شعرك تلتقي الأديان ويتوحد الجميع في رحاب الوطن والأمة فأنت عربي أصيل مدافع عن امة العرب
خلق اللهُ فؤادي.....من شعاع ودموع
قبسا من وجه طه..... ذابَ في جُفني يسوع
١٥ – النيل قصيدة الشعراء الخالدة هل عانقت حروفك هذا النهر العريق؟
أيها النيل يا حبيبَ الرياحينِ ....عيونُ الأزهارِ نسجُ عيونك
املأ الشاطئين حبا وشعرا.... فجناحُ الهوى شراعُ سفينك
لثمَ الدهرُ راحتيكَ وغنى.....عبقريَ الألحان تحت غصونك
١٦ – هل وصفت العيون الجميلة وأي شيء تركت في قلبك؟
يا عيونا أوحت إلينا الغراما....أجنونا سقيتنا أم مداما
آية الحب أن تظلي ربيعا..... لفؤادي وأن يظل هياما
١٧ – تحتل المرأة عرش شعرك وتتربع عليه وقد توجتها بأكاليل خالدة من جواهر القوافي ومنحت ملكة جمال لبنان عام ١٩٣٤ قصيدة هي ملكة جمال قصائدك وما زالت تطرب الأسماع حتى الآن هل تسمعنا شيئا منها؟
الصبا والجمالُ ملكٌ يديك .....أيُ تاج أعزُ من تاجَيك
نصبَ الحُسنُ عرشهُ فسألنا.....مَن تراهُا لهُ فدلَ عليكِ

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

صارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

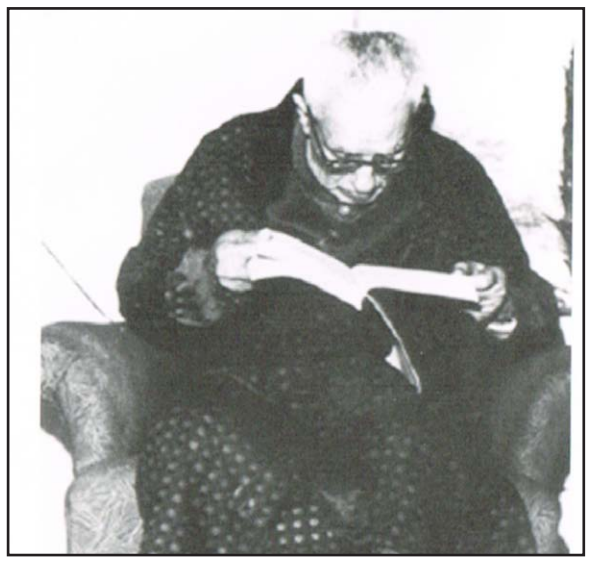

فاسكبي روحك الحنونَ عليهِ....كانسكاب السماءِ في عينيك
قتلَ الوَردُ نفسهُ حسداً منك....وألقى دماهُ في وجنتيك
والفراشاتُ ملت الزهرَ لما...حدثتها الأنسامُ عن شفتيكَ
١٨ – عندما بلغت ابنتك وداد العشرين من عمرها بأَي شيء خصصتها؟
يا قطعةً من كبدي.....فداك يومي وغدي
ودادُ يا أنشودتي البكرَ.....ويا شعري الندي
يا قامةً من قصب السُكَر رخصَ العُقدِ
عشرونَ هلل يا رَبيـــعُ للصبا وغردِ
١٩ – أنت تحب الحياة في الَريف وتهرب من أجواء المدن الصاخبة فما هي نصيحتك للآخرين؟
عودوا إلى تلك القرى فلقد.....سلختكمُ عن قلبها المدنُ

الذكرياتُ على مقادمها.....الأمُ والأخواتُ والسكنُ
تردُ الصبايا بالجرار وقد.....عادت على أكتافها المزنُ
٢٠ – هل كان شعرك يتدفق عفويا أم كنت تستحضره متى شئت؟
صغتُ القريضَ ومالي في القريض يدٌ..يدُ الطبيعةِ فيهِ أو يدُ القدَرِ
إن المواهبَ لا فضلٌ لصاحبها...كالصوتِ للطير أو كالنشر للزهر
٢١-أين موقعك من جغرافية الحب العربي؟
أنا في شمال الحب قلبٌ خافقٌ...وعلى يمين الحق طيرٌ شادي
غنيت للشرق الجريح وفي يدي...ما في سماء الشرق من أمجادِ

٢٢-الوحشة والخريف ضيفان ثقيلان في بيداء الحياة
ما حالك معهما؟
اليومَ أصبحتُ لا شمسي ولا قمري...مَن ذا يغني على عودٍ بلا وترِ
ما للقوافي إذا جاذبتها نفرت....رعت شبابي وخانتني على كبري

××××××××××

الحديث مع بلبل الطبيعة الغريد يطول والوقت يمر مسرعا دون إن نحس به والأسئلة كثيرة متشعبة تشعب عيون الجبل وهي تغسل غضون الأرز المتدلية على السفوح وهنا أبصرت على الطاولة القريبة منا باقة زهر وبطاقة شعر تحمل بيتين هما مطلع قصيدة رثاء طويلة ومؤثرة
كان يزمع بعد اللقاء أن يضعها على قبر صديقه المسلول فاعتذرت منه
لتأخره عن موعده المحبب والبيتان هما....
مات الفتى فأقيمَ في جَدَثٍ.....مستوحشِ الأرجاء منفرد
وتزورهُ حيناً فتؤنسهُ..... بعضُ الطيور بصوتها الغردِ

المصادر ديوان الهوى والشباب
للشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
الصورة في شعر الأخطل الصغير
للدكتور أحمد مطلوب. دار الفكر. عمان

الأخطل الصغير

١٨٨٥ - ١٩٦٨ م

يا جهاداً صفَّق المجد له: لبس الغار عليه الأرجوانا
سائل العلياء عنا والزمانا هل خفرنا ذمَّةً مُذ عرفانا

هو بشارة بن عبدالله الخوري المعروف بـ "الأخطل الصغير".
ولد في بيروت عام ١٨٨٥، وتوفي فيها عام ١٩٦٨.
تلقى تعليمه الأولي في الكتاب ثم أكمل في مدرسة الحكمة والفرير وغيرهما من مدارس ذلك العهد.
أنشأ جريدة البرق عام ١٩٠٨، واستمرت في الصدور حتى بداية عام ١٩٣٣، عندما أغلقتها السلطات الفرنسية وألغت امتيازها نهائياً. وكانت قد توقفت طوعياً أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى.
حياته سلسلة من المعارك الأدبية والسياسية نذر خلالها قلمه وشعره للدفاع عن أمته وإيقاظ هممها ضد الإستعمار والصهيونية.
كانت لغة القرآن الكريم . اللغة العربية . ديدنه ومدار اعتزازه وفخره.
اتسم شعره بالأصالة، وقوة السبك والديباجة، وجزالة الأسلوب، وأناقة العبارة، وطرافة الصورة، بالإضافة إلى تنوع الأغراض وتعددها.
وقد تأثر الأخطل الصغير بحركات التجديد في الشعر العربي المعاصر ويمتاز شعره بالغنائية الرقيقة والكلمة المختارة بعناية فائقة.
صدر له ديوان "الهوى والشباب" ١٩٥٣، وديوان "شعر الأخطل الصغير" ١٩٦١.
طارت شهرة الأخطل الصغير في الأقطار العربية، وكرم في لبنان والقاهرة.
وفي حفل تكريمه بقاعة الأونيسكو ببيروت سنة ١٩٦١ أطلق عليه لقب أمير الشعراء.

ضحك المجدُ لنا لما رآنا بدم الأبطال مصبوغاً لوانا
عرسُ الأحرار أن تسقي العِدى أكؤساً حُمراً وأنغاماً حزانى
نركب الموتِ إلى "العهد" الذي نحرتْه دون ذنب حُلفانا

❖❖❖

قُمْ إلى الأبطال نلمسْ جرحهمْ لمسة تسبحُ بالطيب يدانا
قم نجعْ يوماً من العمر لهمْ هبهُ صوم الفصح، هبهُ رمضانا
إنما الحقُّ الذي ماتوا له حقنا، نمشي إليه أين كانا